الجامعة

الجزء ٢٢ و٢٣ و٢٤ السنة الثانية

الاسكندرية في (افريل) سنة ١٩٠١ — محرم سنة ١٣١٩

عجيبة الموسيقى في هذا الزمان



(يبينو رودر يكيز اربولا)

صبي صغير اشهر الموسيقيين اليوم

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

نابغة في فنّ الموسيقى

(بيبيتو رودريكيز اريولا)

سبقه موزارت · تاريخه وكيف ظهرت مواهبه · صفاته واخلاقه · قوته في الموسيقى ·
بيبيتو والسلام الحميدي · عرضه في معرض باريز وراي البوذيين فيه ·
اشراق شمسه حين افلت شمس فردي · نتيجة ادبية

ان الامر الذي نقصه على القارىء في هذا الفصل امر مفرد لا شبيه له في تاريخ فن الموسيقى منذ انشاء العالم · فانه لم يُسمع حتى الآن ان ولدًا في العام الثاني من عمره يوقع على آلات الموسيقى انغامًا قديمة ويبتكر انغامًا جديدة من غير ان يتعلم فن الموسيقى · نعم ان (موزارت) استاذ الموسيقيين بدأ بالتوقيع وهو في العام الرابع ونصف من عمره وغيره من مشاهير الموسيقيين بدأوا يوقعون الانغام في الخامسة والسادسة ولكنهم كلهم كانوا قد تعلموا التوقيع او حضروا تعليم اخوتهم · اما الولد الذي نحن الآن في صدده فانه لم يتعلم قط على يد استاذ فضلاً عن انه بدأ يوقع الالحان وعمره عامان ونصف · ولذلك تنبأ العارفون بانه اذا استمرّ نمو هذا الولد بحسب الطبيعة والفطرة فانه لا يبلغ من الرجال حتى يصبح اكبر موسيقيّ في العالم

***

✵ ترجمته وكيف ظهرت مواهبه ✵ واسم هذا الصبي (بيبيتو رودريكز اريولا) وقد ولد في ١٤ دسمبر من عام ١٨٩٦ في بلدة (كورونا) في اسبانيا وهو وحيد لامه · وقد توفي ابوه في عام ولادته وكان رجلاً مشهورًا بقوة الذاكرة ولكنه لم يكن ذا ميل للموسيقى · اما امه فانها كانت تضرب على البيانو وهي في سن الخامسة · وجدته لامه كانت مشهورة بالبراعة في التوقيع على القيثار · هذه حالته من حيث الوراثة

واما الطريقة التي ظهرت بها مواهب هذا الصبي العجيب فقد ذكرتها امه حين عرضته على علماء البسيكولوجيا في معرض باريز في العام الماضي واليك كلامها بنصه · قالت

« اتاني في ذات يوم من احد اصحابي الموسيقيين رقعة موسيقية جديدة (نوطة) فجعلت اوقعها على البيانو واكرر توقيعها · ومن المحتمل ان يكون الصبي قد انتبه الى اللحن ابان توقيعه واصغى اليه اما انا فلم ادرِ بانتباهه واصغائهُ · وكان له يومئذٍ من العمر عامان ونصف

« ففي صباح احد الايام كنت في غرفة مجاورة للقاعة التي فيها البيانو فسمعت في هذه الغرفة يداً توقع اللحن المذكور وكان التوقيع في غاية المهارة فهرعت لارى الشخص الذي دخل بيتي واخذ يوقع على البيانو من غير استئذاني· فلما اطللت من باب القاعة وجدت ابني في القاعة وحده وهو جالس على مقعد البيانو ويداه عليه (كما ترى في الرسم) فلما رآني صار يضحك ضحكاً شديداً ثم قال « كوكو · ماما » اما انا فاعتقدت لاول وهلة بحدوث عجيبة سماوية حقيقية »

ومنذ هذا الوقت صار الولد يصغي الى الالحان التي توقعها امه و يوقعها بعدها بنفسه · والامر الغريب انه لم يكن يكتفي باعادة توقيع ما يسمعه بل كان يبتكر من عنده انغاماً جديدة في غاية الصحة كأن نفسه مع صغرها ينبوع موسيقي يستخرج منه ما شاء استخراجه منها. وقد اشتهر امر هذا الولد في ودنه فقصده في ٤ دسمبر من عام ١٨٩٩ فريق كبير من الموسيقيين ورجال النقد فوقع الصبي امامهم على البيانو توقيعاً اعجبوا به ودهشوا له بالنظر الى سن صاحبه · وكان عمره اذ ذاك ثلاث سنوات فقط · وفي ٢٦ منه طلبت ملكة اسبانيا والملك ابنها ان يجيء بيبيتو الى القصر ليسمعوه فجاءت به امه الى مدريد فوقع امام الملك والملكة والبلاط توقيعاً مدهشاً · فعانقته الملكة ونباته مراراً و بالغت في توصية امه به · وكان عمره يومئذ ٣ سنوات و١٢ يوماً

⁂

﴿ صفاته واخلاقه ﴾ اما اخلاق حبيبنا بيبيتو فهي في غاية اللين والسهولة · فانه كما تراه في الرسم صبي لطيف جميل في غاية النباهة كثير الضحك والبشاشة· وهو ذو عينين سوداوين نافذتين تقدحان شرر الذكاء وتدلان على ما وراءها من كنوز المواهب السامية · وكل حركاته سريعة خفيفة وهو يتأنق فيها تأنقاً فطرياً

ومن صفاته انه شديد الميل للمزاح والمحادثة والعاب الاولاد · وهو مطيع لامه قلما يعصي لها امراً ولعلَّ ذلك لانها لا تصنع شيئاً يكرهه · وانما يعصيها في حالتين الاولى اذا كان يوقع على البيانو وطلبت امه ان يترك التوقيع وكان لا يروم تركه والثانية اذا كان لا

يروم التوقيع وطلبت امه ان يجلس الى البيانو اكراماً لبعض الزائرين او السائلين · ففي هذه الحالتين تتخذ الام معه كل الحيل وكل وسائل الاقناع لتحمله على ما تريد · وذلك يصح ان يكون برهاناً على انه لم يتعلم ما يعمله بطريقة التدريس المنتظمة

اما بنيته فانها قوية لم يصب بها قط وثقله متوسط ولا اثر لتشويه او ضعف في كل بدنه · واما ذاكرته فانها حسنة ولكنها ليست خارقة للعادة

ولم يتعلم بيبيتو القراءة بعد وليس له ميل للرسم ولكنه يلذ له كتابة الانغام الموسيقية التي يوقعها · وله فيها طريقة مضحكة لا يفهمها احد غيره وذلك في منتهى الغرابة · فانه يتناول ورقة وقلماً ثم يرسم بالقلم في صدر الورقة بعض خطوط يقول انها اسم اللحن الجديد الذي اخذ يبتكره · ثم يرسم تحت هذا الاسم خطوطاً اخرى كثيرة ويقول انها اجزاء اللحن المذكور ·وحين الفراغ من الرسم يجيل فيه نظره اللطيف مسروراً بعمله ثم يضعه امامه على البيانو ويقول « اسمعوا لاوقعه لكم » يقول هذا ثم يمد انامله الصغيرة الى البيانو فيوقع عليه لحناً مبتكراً جديداً يدهش السامعين · على انه اذا انطفأ المصباح وهو يوقع وغاب عنه الرسم الذي رسمه فانه يستمر في ايقاعه · وذلك مما يدل على انه يعتمد في الايقاع على الصور التي في نفسه لا على الخطوط التي رسمها على الورقة امامه

***

﴿ قوته في مسائل الموسيقى الثلاث ﴾ ومعلوم ان امهات المسائل في الموسيقى ثلاث : الايقاع او التوقيع · والحفظ · والابتكار · فالايقاع انما هو تحيين الالحان الموجودة بحسب العلامات الموضوعة لها (النوطات)· والحفظ بقاء صور الالحان حاضرة في الذهن حين الايقاع والا وقفت الانامل او شردت فانتقلت الى لحن آخر · والابتكار بمثابة التصنيف والتاليف في الكتابة وهما عبارة عن ايجاد مادة جديدة

الايقاع — اما قوته في الايقاع فانها محصورة في بيانو امه · اي انه لا يستطيع التوقيع على آلة اخرى غيره · واذا وقع على آلة اخرى غلط غلطات كثيرة وذلك لانه ألف تلك الآلة · وهو يوقع على آلته انغاماً في غاية الصعوبة كنشيد « هابانيره » الغاليسي وقد اتقن « السلام الحميدي » الذي وضعه موزارت الشهير اشد اتقان وبرع في بعض اجزائه براعة عجيبة · ومتى وقعه وقع بيديه معاً واحياناً تتقاطع يداه على مقاطع البيانو فيكون لها منظر جميل جداً · ولكن الاجمل منهما منظره حينما يرفع انامله عن البيانو بخفة غريبة في ابان التوقيع ثم يعيدها اليه بهيئة جدية من غير خلل في التوقيع كما يصنع كبار الموسيقيين ·

ولكن من اين تعلم هذه الحركة وكيف اهتدى اليها فان امه لم تصنعها قط ولا تقدر عليها٠

وربما شرد عن اللحن في ابان توقيعه فيتوقف هنيهة يجس بها المقاطع ثم يستأنف الايقاع الصحيح كما كان

غير ان ايقاعه لا يزال ناقصاً بالنسبة الى حقيقة الفن وان كان كثيراً عليه بالنسبة الى صغر سنه ٠ وقد سمعه الموسيقيون وسمعوا امه لانها موسيقية كما تقدم فظهر انها ابرع منه فيما يختص بدقة الايقاع وضبط اللحن ضبطاً محكماً ولكنه ظهر منه ان ايقاعه اشجى واوقع في النفس ٠ فانه اذا وقع لحناً محزناً او مفرحاً او عسكرياً او حماسياً وضع في توقيعه نكهة غريبة ولهجة عجيبة لا توجدان في توقيع امه ٠ وكل من نظر اندفاعه وتحمسه ابان التوقيع علم ان يديه الصغيرتين اضعف من ان تطاوعاه على اخراج كل ما في نفسه من الصور الموسيقية العظيمة

الحفظ — اما ذاكرته في الموسيقى فهي قوية مع صغر سنه ٠ فان هذا الصبي الذي لا يتجاوز السنة الثالثة ونصفاً من عمره يحفظ ٢٠ لحناً في ذهنه ٠ وقد حفظها بالسمع فقط من غير تدريب معلم ٠ وطريقة ذلك ان تجلس امه الى البيانو وتوقع امامه لحناً يجهله اربع او خمس مرات ثم تنهض عن البيانو فيجلس الصغير حينئذ مكانها ويوقع ذلك اللحن مثلها او احسن منها ٠ فتامل

ومتى وقع الصغير اللحن مرة رسخ في ذهنه فلم ينسه طول عمره ٠ وهو لا يطيق ان تصلح امه توقيعه ولا ان تعلمه شيئاً على الطريقة التي تعلمها بل يحب ان يبقى حرًّا في التوقيع كما يشاء ٠ ولا ريب ان الحق في جانبه فان امه تريد تعليمه بحسب الطرق الصناعية التي تعلمتها اما هو فانه يعتمد في فنه على الطبيعة امه الثانية ٠ بل امه الاولى

الابتكار — اما قوته في الابتكار فقد اشرنا اليها فيما تقدم ٠ فانه اذا جلس الى البيانو واخذ يوقع الالحان عليه تعذر التمييز بين القسم المبتكر الذي هو ابن ساعته في هذه الالحان وبين القسم غير المبتكر منها ٠ ومتى شرع في الابتكار لا يغلق عليه ابداً بل يجد دائماً لحناً جديداً ٠ والالحان التي يبتكرها ذات ثلاثة اقسام : التمهيد والوسط والخاتمة كأنه درس طريقة الابتكار على ابرع المعلمين ٠ ويتخلل هذه الاقسام الثلاثة صور شجية واصوات مطربة يشعر السامعون انها جديدة على آذانهم ٠ غير انه لا يستفاد من هذا القول ان الالحان التي يبتكرها يبيتو كاملة لا نقص فيها ولكننا ننظر الآن الى ما يحسنه لا الى ما لا يحسنه لاننا نتكلم عن صبي صغير لم يتقن النطق بعد ٠ ومع ذلك فاننا رغبة في

الدلالة على حقيقة قوة بيبيتو في سنه نقول : لو اخذنا ١٨٠٠ فتى عمر كل واحد منهم ١٨ سنة وجعلناهم يصرفون ستة اشهر في تعلم التوقيع على البيانو دون ان يشتغلوا بامر غير هذا الامر لما قدر واحد منهم بعد الاشهر الستة على بلوغ شأو بيبيتو في الايقاع والابتكار مع ان عمره لا يتجاوز الثلاث سنوات ونصفاً

***

﴿ بيبيتو في معرض باريز ورأي البوذيين فيه ﴾ وكان عمر بيبيتو ٣ سنوات و٧ اشهر و٧ ايام لما عرضته امه في معرض باريز ٠ وقد عرضته على علماء البسيكولوجيا (علم النفس والاخلاق) في المؤتمر الذي عقده في المعرض في ٢١ اغسطس من عام ١٩٠٠ ٠ وكان هذا المؤتمر مؤلفاً من علماء جميع الامم وكلهم من رجال الجد والرزانة والرصانة٠ فلما دخل عليهم بيبيتو وراء امه اشرقت وجوههم سروراً بالصبي الموسيقي وابتسموا لذلك الجسم الصغير الضئيل الذي كان امامهم يضم نفساً كبيرة في اول ظهورها

وكان في جملة هؤلاء العلماء عالم بوذي من الهند ٠ ومن المعلوم ان البوذيين يعتقدون بالتناسخ او التقمص وهو ان الانسان يتكرر وجوده في المخلوقات من قرن الى قرن ٠ فلما سمع هذا العالم البوذي الحان بيبيتو دهش مع جميع الحاضرين وقال ان هذا الصبي دليل على صحة مذهب البوذيين في التناسخ فان نفس احد اكابر الموسيقيين متقمصة فيه ولذلك يجيد التوقيع هذه الاجادة

هذا ما قاله عالم الشرق ٠ اما علماء الغرب فانهم عجزوا عن تعليل مسالة بيبيتو لان علم البسيكولوجيا لا يزال علماً حديثاً واصحابه يجهلون اكثر مما يعلمون ٠ غير انهم نصحوا للام ان لا تضغط على عقل صبيها بل تتركه ينمو نمواً طبيعياً ليبلغ اشده واشاروا عليها بان لا تعلمه التوقيع بحسب الطرق المالوفة بل ان تطلق الحرية لمواهبه لتتحرك في دائرة خالقتها

***

﴿ نتيجة ادبية ﴾ وخلاصة الكلام ان بيبيتو من جملة العجائب في هذا الزمان ٠ ومن حسن الحظ ان مواهبه آخذة بالنمو وذلك مما جعل الموسيقيين يؤملون ان يروه زعيماً لهم في القرن العشرين ٠ وكانوا قد خافوا ان تقف مواهبه عند حد فلا يتم نموها كما يحدث احياناً لكثيرين من الاولاد الذين يكونون في صغرهم آية النباهة والذكاء فاذا شبوا وقويت الواحهم كانوا اناساً من عامة الناس ٠ وكل واحد منا عرف كثيرين من هؤلاء الاولاد

ولا نريد بذلك اننا رأينا تحت سماء الشرق اولاداً نوابغ كالولد العجيب الذي نحن في صدده وانما نريد به انَّ اولادنا لا ينقصهم الذكاء الطبيعي والاستعداد النظري فيجب علينا الاهتمام الشديد بمساعدة مواهبهم في نموها وان لا نتركهم يشبون همَلاً كالانعام السائمة متخلقين باخلاق الوسط الخشن الذي يعيشون فيه فيقتل ما فيه من اشواك الجهل والفقر ما في نفوسهم من ازهار النباهة والذكاء اذا لم يقتلهم انفسهم بالاهمال وجهل طرق التربية ·

وما اجدر بنا كلما دخلنا المقابر التي تبتلع في الشرق من الاولاد اضعاف ما تبتلعه في الغرب منهم مع حفظ النسبة بين سكان القسمين ان نقف فوق قبور اولئك الصغار المساكين وقفة ذلك الشاعر اللاتيني القديم الذي كان كلما دخل مقبرة في بلاده قصد قبور الاولاد ووقف عليها ينشد نشيداً بليغاً هذه خلاصته

« في هذه الاجداث الصغيرة اجسام صغيرة لولا الاهمال والفقر لكانت الآن كمصابيح ساطعة في العلم

« تحت هذا التراب اولاد فقراء لو وجدوا وسائل للارتقاء لبلغوا اقصى درجات العلياء

« في هذه الحفرة ايدٍ كانت جديرة بحمل الصولجان · وفي تلك رأسٌ كان خليقاً بحمل اكليل الرئاسة · وفي هاتيك فتى ضاق العالم عن نفسه ولم تسعه غير هذه الحفرة الباردة »

نعم ان لا يقف على تربة الصبي « بيبيتو » شاعر اسباني ليقول هذا القول الاليم · بل ان يعمر بيبيتو عمراً طويلاً يخدم فيه العالم بمواهبه ثم يموت كما مات «فردي» الايطالي في هذا العام مشهوراً مكرماً · وقد مات (فردي) الشهير في نفس العام الذي ذاعت فيه مواهب بيبيتو فكأنه مات ولسان حاله يقول عنه « انا ذاهبٌ لانه آتٍ » — وهي الكلمة التي قالها لامارتين لما جاء فيكتور هيغو

باب المقالات

سوريا وفلسطين

(بين فرنسا وروسيا والدولة العلية)

السلطان محمد الفاتح و بطريرك اليونان في الاستانة · تخويله السلطة العليا · استقلال روسيا و بلغاريا عنه · الانتخاب الانطاكي · المزاحمة والملاكمة بين اليونان واللاتين في اورشليم · مساعي الجمعية الفلسطينية · فرنسا لا تريد الانصراف من وجه روسيا

عثرنا في احدى المجلات الباريزية الكبرى على فصل لاحد اكابر الكتاب الفرنسويين موضوعه تنازع فرنسا وروسيا النفوذ في سوريا وفلسطين فراينا من الفائدة تلخيصه للقراء لاطلاعهم على ما يُقال عن الدولة العلية العثمانية في البلاد الاوربية · ونحن نلخص هذا الفصل على عهدة كاتبه ونترك للقراء الحكم في صحة الكلام او فساده و يسوؤنا اننا لا نقدر لضيق المجال ان ننقله بحروفه

قال الكاتب تحت عنوان « مسالة بين فرنسا وروسيا في الشرق » ما خلاصته

***

ان الشرق خزانة للامور الماضية · فكل حادثة تحدث فيه يجب الرجوع الى اصلها في الماضي لنتمكن من فهمها او حلها · اذًا فلا يستغربنَّ القارىء ان نعود به الى زمن استيلاء الاتراك على الاستانة او الى ازمنة المسيحية الاولى في كلامنا عن المسائل الهامة التي سيرد الكلام عليها فنقول

السلطان محمد الفاتح وبطريرك اليونان

بعد استيلاء محمد الثاني على الاستانة في عام ١٤٥٣ احسَّ بضعف فرسانه عن حماية السلطنة العظمى التي اقدم على تاسيسها من كل الجهات فراى موادعة الروم (اليونان) ليأمن جانبهم و ينصرف الى الاحتفاظ بملكه الجديد من البلغار بين الذين كانوا يتهددونه في جهة الشمال ومن الفرس الذين كانوا يترصدونه في جهة الجنوب· وكان بطريرك الروم

قد قُتل في كنيسة آجيا صوفيا فأمر السلطان محمد الفاتح بانتخاب خلف له في الحال فانتخب الروم راهباً يدعى جورج سخولاريوس وسموه البطريرك جناديوس الثاني فاحتفل به السلطان محمد الفاتح احتفالاً لم يسبق له مثيل (١) ومنحه امتيازات تجعله حاكماً مطلقاً في شؤون رعيته اليونان دينياً ومدنياً الا في مسالة الحكم بالاعدام. فسرّ البطريرك بهذا المقام العظيم وكان يزداد سروره كلما اوغل السلطان الفاتح في فتوحه لان الفتح كان يزيد سلطة البطريرك على البلاد المفتوحة اذ يضم رعيتها اليونان الى رعيته . فاصبح بطريرك الروم في الاستانة في ذلك العهد رئيساً لامة وكانوا يسمونه « روم باشي » اي رأس الروم وصار حي الفنار في الاستانة مركزًا سياسياً يلتفُّ حوله اليونان في الروملي وآسيا الصغرى ومكدونيا واليونان وجزائر الارخبيل ومولدافيا (رومانيا اليوم) والفلاخ وبلغاريا وسربيا والبانيا ومصر وسوريا وفلسطين . وما زالت سلطة البطريرك عظيمة بهذا المقدار حتى ثورة اليونان واستقلالهم عن الدولة العثمانية فانشأوا يومئذ لانفسهم في اثينا كنيسة خاصة بهم

ومنذ هذا الحين بدأ الضعف في سلطة البطريرك المسكوني وزاد الضعف ضعفاً ظهور مناظر عظيم له وهو « العصبية السلافية » اي روسيا

(١) ※ الجامعة ※ وقد رأينا تفصيل ذلك في الجزء الثالث من « تاريخ الانشقاق » الذي نشره اخيرًا سيادة العالم الفاضل الارشيمندريت جراسيموس مسره رئيس الكنيسة السورية الارثوذكسية في الاسكندرية فآثرنا نقله لفائدته في هذا المقام وهذا نصه

« من بعد ان اتم السلطان محمد الثاني فتح القسطنطينية سمح للمسيحيين بحرية اقامة شعائرهم الدينية تحت حمايته ممتعين بالامان التام واذ علم ان الكرسي القسطنطيني بلا بطريرك سألهم عن الشخص الذي يريدونه بطريركاً وسر سرورًا عظيماً حين اجابوه انهم يريدون الراهب جناديوس سخولاريوس فاصدر امره بحضوره. ومن بعد البحث والتنقيب وجد اسيرًا عند احد الاتراك في جهات ادرنه . فلما حضر دعاه الى حضرته وخاطبه في جملة مواضيع واثنى على علمه وواسع اطلاعه ومن ثم امر بانتخابه على الاصول المرعية في ايام ملوك الروم . وقد كان ذلك في اواخر سنة ١٤٥٣ او اوائل سنة ١٤٥٤ . فجرى الانتخاب في كنيسة الرسل القديسين وهناك شرطن ودعي جناديوس الثاني . وبعد الشرطونية دعاه السلطان الى غداء على مائدته . فلما مثل بين يديه استقبله بكل ترحاب ومنحه امتيازات كثيرة وسلمه عصا الرعاية مزينة بحجارة ثمينة علامة للسلطة كما كان يفعل قياصرة الروم . ثم رافقه الى دار البلاط رغماً عن استرحام البطريرك ان يختصر السلطان هذا التنازل

استقلال روسيا

وكانت كنيسة روسيا قد بقيت الى القرن الحادي عشر خاضعة لبطريركية الاستانة. ففي هذا القرن قام جاروسلاو الاول امير موسكوفيا (الروس) وخول نفسه حق تعيين اسقف لكييف. فقام النزاع الشديد بينه وبين البطريرك وقد طال زمناً طويلاً. ثم حين فتح الاتراك الاستانة كان ايفانوس الثالث اميرًا على موسكوفيا وكان مقترنًا بحفيدة من الاسرة الامبراطورية اليونانية فلما سقطت هذه الاسرة في الاستانة اعلن ايفانوس الثالث انه وارث عهدها فنادى بنفسه امبراطورًا وزين قصره بالنسر ذي الراسين الذي كان شعارًا لامبراطرة الروم وجمع مجامع مقدسة للبحث في المسائل الكنائسية كما كان يصنع الامبراطرة. وفي القرن التالي لهذه الحوادث اي في عام ١٥٨٨ انشأ الروس بطريركية في موسكو مستقلة عن بطريركية الاستانة كل الاستقلال. ولكنه لما جاء القيصر بطرس الاكبر الغى البطريركية وابلغ هذا الالغاء الى بطريرك الاستانة بعبارات في غاية المجاملة والاحترام. وقد لقب بطرس الاكبر هذا البطريرك في رسالة «ابانا الروحي الكلي القداسة واكبر رعاة الكنيسة» فكان ذلك اعترافاً منه بسلطته ورئاسته. ولكن بطرس الاكبر انشاء مكان البطريركية الموسكوفية التي الغاها مجمعاً مقدساً (السينودوس الحالي) وجعل نفسه رئيساً له وللكنيسة الروسية. وهو عمل يناقض بعضه بعضاً. فانه اذا كان خاضعاً لبطريركية الاستانة فكيف يخول نفسه حق رئاسة الكنيسة الروسية والاستقلال بها.

العظيم. وفي الدار كان راس من الجياد السلطانية المطهمة عليه عدة ملوكية مزينة بافخر زينة فاركبه اياه وامر كل موظفي البلاط ان يرافقوه بكل نظام بعض امامه وبعض وراءه الى كنيسة الرسل واعطاه حرساً خاصاً من انكشارية جنوده وبالاختصار لم يترك عادة من عادات قياصرة الروم الا اجراها بل زاد عليها. ولكي يؤيد الامتيازات التي منحه اياها اعطاه البراءة السلطانية ومن مقتضاها ان البطريرك له السلطة العليا على ادارة كل الكنائس والاديرة. وانه له الحق ان يعزل المطارنة والاساقفة. وان الباب العالي بناء على تقريراته يصدر الفرامانات المقتضية. وانه هو الحاكم الاعلى في قضايا الاكليروس وحكمه عليهم نافذ وانها اذا صدرت دعوى على اسقف امام الباب العالي لا يحق له ان يضبطه ويحاكمه بلا رضى البطريرك. وان الكنيسة المسيحية مسموح لها بكل الاملاك والمعابد المعينة منذ القديم لاقامة الشعائر الدينية ولكن لا يسمح ببناء غيرها. وانه لا يغصب احد من المسيحيين على التدين بدين الاسلام الا اذا اراد الشخص بحريته. ثم انه منحه

والصحيح ان بطرس الاكبر كان يريد بذلك القبض على زمام كنيسته وحفظ مكان له في مسائل المسيحية في الشرق ليتداخل فيها كلما اراد المداخلة (١)

انفصال بلغاريا

وكانت المداخلة الاولى بشان بطريركية الاستانة في عام ١٨٦٠ يوم طلبت بلغاريا انشاء كنيسة بلغارية مستقلة· وقد ساعدت روسيا بلغاريا في هذا الطلب لان الاكليروس اليوناني كان كثير الصلف والاستبداد بالشؤون البلغارية · ناذن السلطان عبد العزيز للبلغار في عام ١٨٧٠ بان ينشئوا لهم اسقفية مستقلة فجمع البطريرك في عام ١٨٧٢ مجمعاً عاماً وعرض عليه هذه المسالة فقرر المجمع حرمان الكنيسة البلغارية وقطعها من الكنيسة· فلم يعباء البلغار بذلك لانهم علموا ان الحرمان لا يستنزل صواعق السماء وهكذا انشأوا

ايضاً حق الحكم في القضايا المدنية والجنائية المختصة بالاروام بكل انواعها اذا عرضت عليه منهم · ومنحه حقاً مطلقاً ان يحكم في الزيجات وما يتعلق فيها وان يضرب ضرائب على الاكليروس والعوام من ابناء امته للقيام باحتياجات الكنيسة وان يكون عنده قواسة ومحضرون · ومنح الكنيسة الحق ان تتصرف باملاكها واوقافها تصرفاً حرّاً · وان يكون البطريرك وائمة الدين معفيين من الاموال الاميرية عن هذه الاملاك · وان يكون كل مسيحي مكلفاً ان يوقف في وصيته ثلث ثروته للكنيسة لتستولي عليها بعد مماته · وكل هذه المواد امر بتنفيذها بالقوة عند الحاجة · وبالاجمال جعل البطريرك رئيس ملة الروم لا دينياً فقط بل مدنياً ايضاً · ومثل هذه الحقوق تقريباً منح المطارنة والاساقفة في كل جهات المملكة وامر بانه لا يجوز تقديم شكوى على احد منهم الا امام الديوان في العاصمة بحضور البطريرك كما ذكرنا (تاريخ الانشقاق الجزء ٣ صفحة ٣٤٥)

(١) ✻ الجامعة ✻ يقول المؤرخون انه اذا كان السلطان محمد الفاتح قد اصاب في موادعة الروم بعد فتح الاستانة ليأمن جانبهم و ينصرف الى ترصد البلغاريين والفرس الذين كانوا يتهددون ملكه الجديد كما تقدم فانه قد اخطاء في منحه الروم في الاستانة نظاماً مدنياً شبيهاً بالاستقلال التام كما ترى في الفقرة المنقولة عن كتاب الانشقاق في هامش هذا الفصل لان هذا النظام الشبيه بالاستقلال جعل اليونان يلتفون حول رئيس واحد دون ان تتفرق لهم كلمة و بالتالي نبه فيهم روح الاستقلال التام ومكنهم من النهوض اليه والحصول عليه

لهم كنيسة مستقلة لا تدعو للبطريرك اليوناني

البلغار والسرب واليونان في البلقان

ولا يزال هذا البطريرك عاملاً على مقاومة الكنيسة البلغارية لان اليونان يخافون البلغار خوفاً شديداً لقوة هؤلاء وثبات جاشهم وقناعتهم فضلاً عن مساعدة روسيا لهم . وهم يسمونهم « النسل المتهدد » لان البلغاريين يقولون انهم سيكونون العنصر السائد في شبه جزيرة البلقان كلها . واعظم سعي يسعاه الآن البطريرك اليوناني هو عدم زيادة الاساقفة البلغاريين في ابرشياته لانه يخشى ان يزداد عددهم فيتمكنوا من التغلب على العنصر اليوناني وانتخاب واحد منهم للبطريركية المسكونية وهناك المصيبة الكبرى على اليونان لاسيما وانهم يعلمون ان روسيا تطلب ذلك . ومن اجل هذا يكرهونها تلك الكراهة الشديدة . على ان الاساقفة البلغاريين آخذون في الزيادة فان لهم ٨ ابرشيات في البلاد العثمانية وهم يطلبون اربع عشرة ابرشية في مكدونيا وولاية ادرنه . واما سربيا فانها تسعى ايضاً سعياً حثيثاً في الحصول على ابرشيات سربية جديدة في مكدونيا وسربيا القديمة . وهي تطلب من الباب العالي تارة اعادة انشاء بطريركية صربية في ايبك وهي البطريركية السربية القديمة التي انشاها السرب في العصور الوسطى لما كان لهم الحول والطول والتي حرمها بطريرك الاستانة يومئذ وقطعها من الكنيسة . وتارة تطلب منه ان يعترف بجنسيتها في بلاده كما يعترف بسائر الامم . اما روسيا فانها تساعدها في هذين المطلبين كما تساعد بلغاريا في مطالبها . والدولة العثمانية تعطي هذه ما تاخذه من تلك ولذلك لا تنفك احداهما راضية والثانية غاضبة . واما بطريرك الاستانة فانه يقاوم السرب مقاومته للبلغار وقد اضطر البطريرك انثيموس السابع ان يستقيل في عام ١٨٩٧ امام غضب السينودوس في الاستانة لانه تساهل مع السرب في مساله اسقفية

كرسي انطاكية

وكما حدثت مقاومة من جانب الروس والبلغار والسرب كذلك حدثت مقاومة شديدة من جانب بطاركة انطاكية واورشليم والاسكندرية . فان هؤلاء البطاركة كانوا لا يالون جهداً في دفع مطامع البطريرك المسكوني . وقد ساعدتهم على ذلك الخطوط السلطانية التي نالوها والتي تنقض الامتيازات التي نالها البطريرك اليوناني من السلطان محمد الفاتح كما تقدم . ولذلك صارت الدولة تعتبرهم مستقلين في شؤونهم . واما البطريرك المسكوني فهو يعتبرهم مستقلين في داخليتهم ولكنه لا يعتبرهم منفصلين عن سلطته . وبناء على ذلك كان يتداخل في انتخاب البطريرك حين خلو الكرسي البطريركي ويرشح اسماء من قبله

ولكن حدث اخيرًا في كنيسة انطاكية حادث قضى على ما بقي فيها من سلطة البطريرك المسكونية

ثم قص الكاتب هنا قصة الانتخاب البطريركي الذي حدث في انطاكية في المدة الاخيرة . وغني عن البيان انه يعزو الى روسيا هذه الحركة الوطنية كما عزى اليها الحركة البلغارية . وبعد ان اتى على تفاصيل ذلك الانتخاب بدقة قال

الزحام والنزاع في اورشليم

ولكن سعي روسيا لا يقف عند سوريا بل هو آخذ بالامتداد نحو اورشليم (بيت المقدس) وما هذه الحركة التي ظهرت في سوريا الا تمهيد للحركة الكبرى التي تحدث في اورشليم . ولا يخفى ان لفرنسا في تلك الجهات وغيرها مصالح كبرى عليها صيانتها . فان النزاع مستمر بين الاكليروس اللاتيني والاكليروس اليوناني في البلاد المقدسة . فقد كان القبر المقدس في عام ١٦٠٤ في ايدي اللاتين وقد استطاعت فرنسا في ذلك العهد ان تعيد الى الكثلكة اكثر الابنية المقدسة التي يرجع اصلها الى عصر المسيحيين الاولين . ولكنه ما مر على ذلك ١٥ عاماً حتى اعاد اليونان الكرة على اللاتين فاستصدروا فرامانات موافقة لهم . ثم صارت الحرب سجالاً بين الفريقين حتى كانت سنة ١٨٠٨ فاحترقت يومئذ كنيسة القبر المقدس ونُهبت مدافن امراء اللاتين فاذن الباب العالي يومئذ لليونان ان يعيدوا بناء الكنيسة فبنوها وابقوها في ايديهم واخذوا فوقها خمسة مذابح كانت للاتين . ولا يزال الفريقان الى الآن يتنازعان الاماكن المقدسة مع انه قد ورد في المادة ٦٢ من معاهدة برلين وجوب ابقاء الحالة الحاضرة كما هي وصدرت في سنة ١٨٥٣ فرمانات بوجوب ان يحفظ كل واحد ما في يده دون ان يطمح الى ما في يد غيره

اما اليونان فانهم اكثر من اللاتين اعتداء لانهم يقولون ان في يدهم صكاً من الخليفة عمر بن ابن الخطاب (رضه) يخولهم الامتيازات دون سواهم مع ان (١) هذا الصك مزور (كذا) ويقولون انهم هم وحدهم ورثاء القديسة هيلانة التي بنت كنيستي القبر وبيت لحم لانها يونانية

---

(١) ✻ الجامعة ✻ لم يختلف مؤرخو العرب في مسالة هذا الصك ولكن بعضهم سكت عنها فلم يذكرها وبعضهم ذكرها . ومن الذين سكتوا عنها المؤرخ ابو الفداء حيث قال في تاريخه عند الكلام على فتح بيت المقدس « واما بيت المقدس فطال حصاره وطلب

وكل واحد من الفريقين يتخذ للاستيلاء على ما في يد الآخر طرقاً لا تليق بالمجاورين للاماكن المقدسة · فتارة القوة وطوراً الخديعة وآونة المباغتة · فان بعضهم قد يكنس دهليزاً بجانب كنيسته ويقيم على كناسته سنة فسنة ثم اذا جاء خصمه لكناسته نازعه ودافعه عنه وبعد سنتين يدعي ملكية الدهليز ويضمه الى املاكه · ومنهم من يأتي في جنح الليل ويسد بالحجر والطين باباً لكنيسة خصمه استئثاراً بها · نعني ان كل ما يقع في قبضة واحد منها يصير ملكه وُتسفك الدماء في سبيله · ومن هذا القبيل مسالة المرور في كنيسة بيت لحم وهي المسالة التي يكون لها في كل عام شأن عظيم · وتفصيلها باختصار ان لمغارة بيت لحم حيث ولد السيد المسيح طريقين الاولى من جهة الجنوب وهي لليونان والثانية من جهة الشمال وهي للاتين · ففي ليلة عيد الميلاد عند اليونان من عام ١٨٩٥ اراد الرهبان اليونان في ابان الاحتفال ان يمروا في الطريق الشمالية التي هي للاتين · فوقف الرهبان الفرنسيسكان في وجوههم ومنعوهم من المرور لئلا يدعوا بعد ذلك ان لهم حق المرور من هناك وهو تمهيد الامتلاك · فتضارب الفريقان وتلاحما ولم يفترقا حتى تداخل البوليس العثماني بينهما · وفي عام ١٨٩٧ تكررت هذه الحادثة وهي تتكرر في كل عام فينقل التلغراف خبرها الى اوروبا لاهميتها وخوف الناس حتى السفراء انفسهم من ان تفضي الى اسوإ العواقب كما حدث في مسالة سرقة النجمة الفضية في بيت لحم في عام ١٨٤٧ فان هذه المسالة لم تنحل الا تحت اسوار سيباستوبول · وكم من الرهبان اليونان والفرنسيسكان قد قُتلوا في وسط الكنائس اثناء تنازعهم على ملكية الاماكن المقدسة ولو لم يكن للاتين خصم غير اليونان لقدروا عليهم ولم يعبئوا بهم ولكن روسيا واقفة

اهله من ابي عبيدة ان يصالحهم على صلح اهل الشام بشرط ان يكون عمر بن الخطاب متولي امر الصلح فكتب ابو عبيدة الى عمر بذلك فقدم عمر رضي الله عنه الى القدس وفتحها واستخلف على المدينة علي بن ابي طالب رضي الله عنه» هذا كل ما قاله ابو الفداء عن فتح بيت المقدس وصلحه · واما الواقدي فقد كتب صفحات جميلة بهذا الشان جاء فيها « فلما سمعت الروم (في بيت المقدس) كلام البترك نزلوا مسرعين وكانوا قد ضاقت انفسهم من الحصار ففتحوا الباب وخرجوا الى عمر بن الخطاب يسالونه العهد والميثاق والذمة ويقرون له بالجزية فلما نظر اليهم عمر على تلك الحالة تواضع لله وخرَّ ساجداً على قتب بعيره ثم نزل اليهم» وقال الواقدي في موضع آخر هذا الكلام الصريح « وارتحل عمر بعد ان كتب لاهل بيت المقدس كتاباً اي عهداً واقرهم في بلدهم على الجزية »

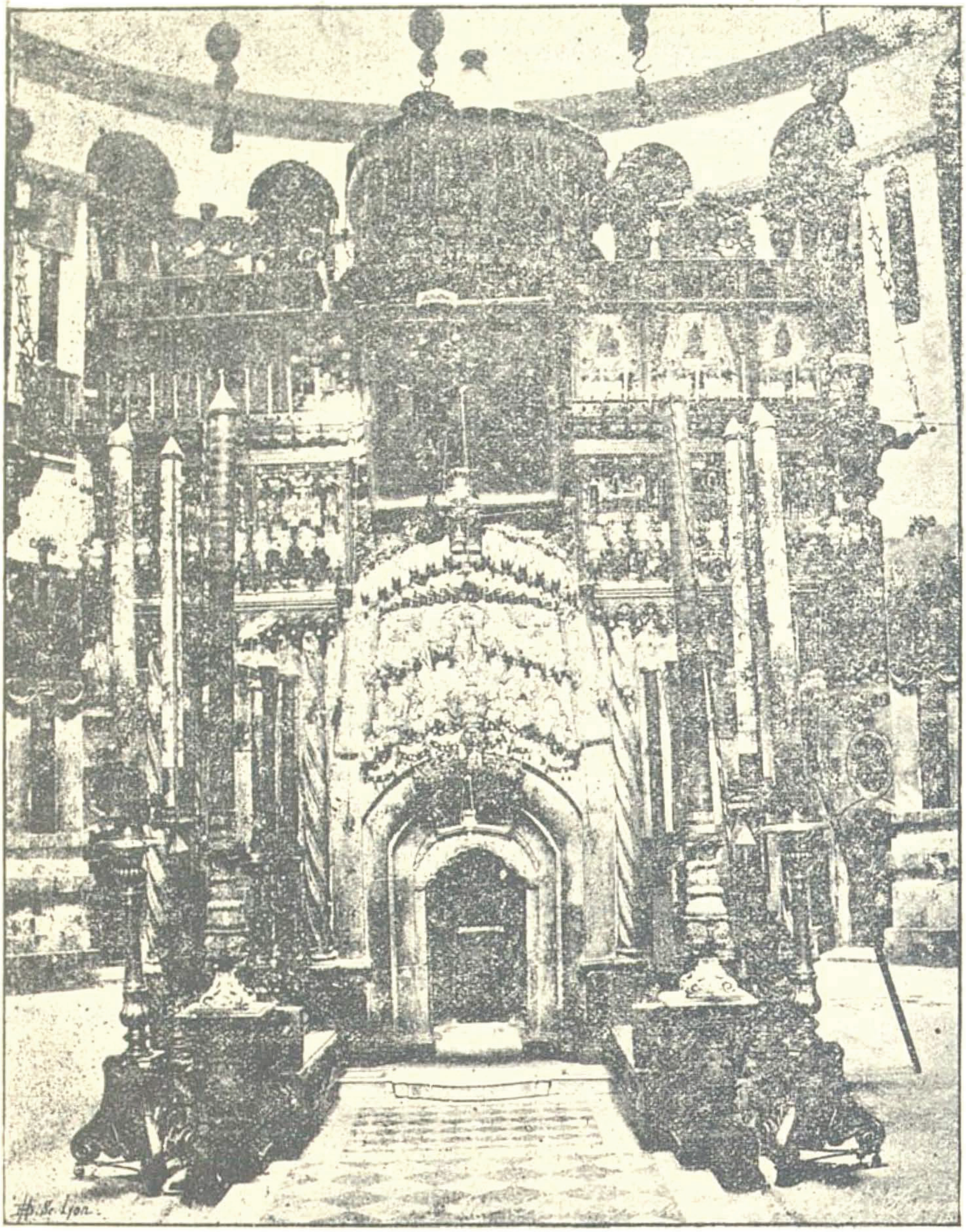
بالمرصاد وراءهم تشد ازرهم وتساعدهم استنادًا الى المادة السابعة من المعاهدة المعقودة بينها وبين الدولة في عام ١٧٧٤ ونحواها « اعطاء سفراء روسيا حق مباحثة الباب العالي في شوؤن المسيحيين في الشرق » . وفضلاً عن ذلك فان الروس مدفوعون بحكم طبعهم الى اورشليم لانهم قوم صادقون في تدينهم خلافًا لليونان الذين ليسوا في شيء من التدين الصادق . ولذلك اخذوا يسعون اليها سعيًا حثيثًا

جمعية فلسطين

فبعد حرب القريم عينت وزارة الخارجية لجنة سمتها لجنة فلسطين وعهدت اليها تدبير امور الحجاج الروس . فانشأت هذه اللجنة الابنية الروسية الاولى في اورشليم وجعلت لروسيا قنصلاً فيها . ولكن هذه اللجنة كانت تسير سيرًا بطيئًا لا يوافق رغائب الامة فقام بعض من اكابر الروس في عام ١٨٨٢ وانشئوا تحت رعاية الغرندوق سرجيوس « جمعية فلسطين »

وقد ورد في نظام هذه الجمعية انها جمعية دينية لا دخل للسياسة فيها . اما اعضاؤها فهم من اكابر الروس والاكليروس ويغلب فيها العنصر الرومي القديم ولكن كثيرين من الرجال العصريين يهتمون بها ويخدمونها . ومن الصعب ان يعرف الانسان هل ان الجمعية متسلطة على الحكومة الروسية فتجعلها تصنع ما تريد او ان الحكومة متسلطة على الجمعية ورسمت لها خطة تجري عليها . اما غنى الجمعية فلا حد له . لان الروس يتبرعون لها خاصتهم وعامتهم . وقد انفقت لغاية سنة ١٨٩٠ من ١٥٠ الى ٢٠٠ الف روبل في العام الواحد . اما بعد عام ١٨٩٠ فقد زادت نفقاتها لان اعمالها قد تضاعفت ولو شاءت وطلبت المال من الامة الروسية بالحاح لجاءتها الريالات ملايين ملايين

اما غرض هذه الجمعية فهو حماية الحجاج الروس في اوروشليم وحض الروس في روسيا على الحج الى اوروشليم . وقد اخذت تهتم بتعليم اولاد الارثوذكس في فلسطين وسوريا وهي تعلمهم تعليمًا روسيًا باللغة الروسية وتبعث بعثات علمية الى جميع الاماكن التي فيها آثار مسيحية لاكتشافها وتؤلف الكتب والكراريس في مواضيع مختلفة وتنشرها بلا عد ولا حساب . وقد اكرهت شركات السكك الحديدية والبواخر على انقاص اجورها فصار الحاج الروسي قادرًا على الحج من اقصى بلاد الروس الى اوروشليم بمبلغ لا يتجاوز المائة فرنك ذهابًا وايابًا . ويفد الى اورشليم من هؤلاء الحجاج في كل عام عشرة الاف روسي مع انه لا يفد من اللاتين اكثر من ٨٠٠ حاج



﴿ مدخل قبر المسيح في بيت المقدس ﴾

وهو داخل كنيسة القيامة الكبرى وعليه الخلاف

بين الامم المسيحية

اصعد الى سفينة من السفن الروسية التي تقل الحجاج من بلادهم تجدهم جالسين افواجاً افواجاً او وقوفاً يصلون امام ايقونة معلقة في سارية السفينة · وهم يصلون منذ الصباح الى المساء· تقدم منهم وسلهم من اي ولاية جئتم واية قرية قريتكم ترهم يترددون في الجواب لانهم يودون نسيان كل شيء وهم على طريق الحج · وقد سألهم مرة احد المسافرين هل نظرتم في طريقكم المناظر الجميلة في البحر الاسود والبوسفور وشواطىء اليونان ومصر فاجابوه « لم ننظر شيئاً لاننا مشتغلون بالصلاة طول النهار »

فهذا يدل على ان روسيا هي الآن في دور ديني يشبه الدور الديني الذي كان فيه الاوربيون ايام الحروب الصليبية · فلا بدع ان تكون مندفعة نحو اورشليم هذا الاندفاع· واول ما يطل المسافر على المدينة المقدسة يعرف قوة روسيا فيها من مجرد النظر اليها · فان قباب الكنائس الروسية في المدينة وفي جبل الزيتون تناغي السماء في علوها · والدار الروسية الكبرى المبنية قرب المدينة تسع اكثر من الفي شخص · وهي اذا بنت بنت شيئاً كبيراً قوياً وعلى الخصوص عظيماً ليستلفت الانظار ويدل على مبلغ قوتها· وقد اخذت في بناء الديور والملاجىء في كل مكان هناك فانشأت كثيراً منها في الجثمانية والناصرة وكل نواحي الجليل · ومع ذلك فانه ليس للروس كنيسة ضمن كنيسة القبر المقدس الكبرى التي تسمى كنيسة القيامة ولم يصل كهنتهم في هذه الكنيسة الا منذ سنتين وذلك في كنيسة الجلجلة · انما يقال ان الاحباش سيبيعونهم الكنيسة التي لهم في داخل كنيسة القبر فاذا تم هذا البيع سر الروس به ولكن سروراً خفيفاً لانهم يطلبون اكثر من ذلك بكثير

هذا ما يسعون اليه في جهات فلسطين· واما في جهات سوريا فانه لا يوجد كنائس مقدسة للاستيلاء عليها وانما يوجد شعب يجب استمالته اليها · ولذلك تتساهل الجمعية الفلسطينية مع اساقفته وتجعلهم يربحون ارباحاً تقضي عليهم بالعلاق بها · واعظم اعمال الجمعية في سوريا انشاء المدارس فانها فتحت فيها وفي فلسطين اكثر من مائتي مدرسة الى الآن اما المدارس التي تدفع لها اعانة فيتعذر احصاؤها

واما التعليم في هذه المدارس فهو باللغة الروسية · وهذا هو الامر الذي ادهش الاهالي وجعلهم يفرون منه· فانهم اعتادوا ان يعلموا اولادهم اللغة الفرنسوية او الانكليزية لما يؤملونه لهم من وراء هاتين اللغتين من المنافع في التجارة او الاستخدام ولكن اللغة الروسية ماذا يصنعون بها واية فائدة منها· فرغبةً في استمالة الاهالي وازالة نفورهم جعلوا يقولون لهم

« لماذا هذا العناد الا تعلمون ان البلاد ستنتقل من يدٍ الى يدٍ بعد عشرين سنة فيصير الناس لا يحكون فيها الا اللغة الروسية »

وللجمعية الفلسطينية مدرستان لاعداد المعلمين والمعلمات واحدة في بيت جعل قرب اورشليم وهي لتعليم البنات وواحدة في الناصرة وهي لتعليم الفتيان ومتى اتم التلامذة دروسهم فيها ارسلوا انبههم الى اودسا ليدخلوا المدارس الكبرى واتخذوا الباقين معلمين ومعلمات في المدارس الصغيرة

وقد يكون مفتشو هذه الجمعية من اكابر رجال الروس علماً ومقاماً وربما كان وكلاء الوزارات انفسهم مفتشين لها يطوفون البلاد لافتقاد مدارسها. ويقولون ان جناب قنصل روسيا الجنرال في دمشق الشام كان من مفتشيها

ولو كانت الجمهورية الفرنسوية قد تخلت عن حماية الكاثوليك في الشرق وعدلت عنها لما جاز لها ان تشكو من وقوف روسيا في وجهها في سوريا وفلسطين ولكن فرنسا لم تعدل عن هذه الحماية ولذلك كثيرًا ما حدث ان قناصل روسيا وفرنسا — وهما الدولتان المتصادقتان المتحالفتان يقاومون بعضهم بعضاً في هذه المسائل بشدة وحدة

ومن الغريب ان يعتقد الروس في بطرسبرج اننا قد رضخنا لحكم التقادير وعزمنا على الانصراف من وجههم في سوريا وفلسطين حرصاً على محالفتهم وصداقتهم فاننا لا نرضخ لهذا الحكم واذا كانت حكومة الجمهورية الفرنسوية تنوي الرضوخ له فلتصرح بذلك ليرى كل واحد شأنه اما اذا كانت لا تنوي الرضوخ فيجب عليها السعي في نصرة حزبها والاهتمام به . وليس عظيمًا ان ينشأ بين دولتين متحالفتين مسالة كهذه المسالة فان في الامكان عقد اتفاق بشانها وهذا الاتفاق يرضي الفريقين » انتهى

﴿ الجامعة ﴾ لخصنا هذه المقالة باختصار كثير بسبب ضيق المقام ومراعاةً للمكان والزمان ولسنا بحاجة الى القول اننا لا نرى راي الكاتب في كثير من الاقوال التي قالها وانما نقلناها على امل ان تكون نافعة ومنبهة للذين نقلناها لهم وبالله التوفيق

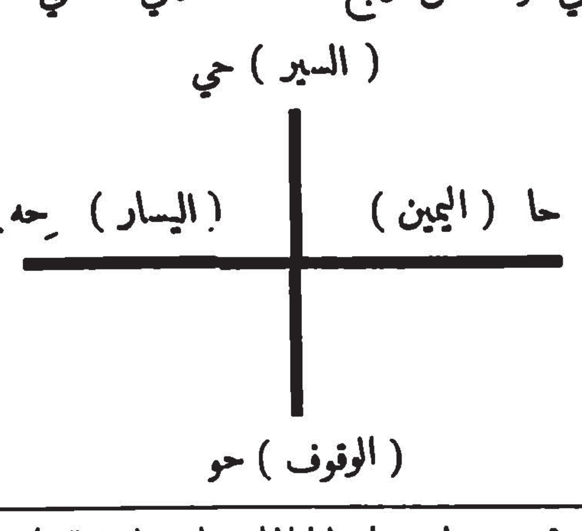
لغة مشتركة بين الانسان والحيوان

يهتم العلماء منذ القديم بوضع لغة عامة يفهمها جميع الناس في اي بلاد كانوا وقد امتاز منهم في هذا الامر باكون و باسكال وديكارت وليبنيز ولوك وكونديلاك وديدرو وفولتاي وامبير . والظاهر ان التجار ورجال العلم والصناعة في هذا العصر قد عادوا الى هذه المسألة لما رأوه من الحاجة اليها رغبة في سهولة المعاملة بين جميع الامم في العلم والتجارة والفنون فعزموا على تاليف لجنة دولية كبرى للبحث في شؤون اللغة العامة التي يطلبونها وقدم كثيرون من علماء الرياضيات والطبيعة والفسيولوجيا والتاريخ عريضة الى المجمع العلمي في باريز يسالونه فيها الاهتمام بهذه المسالة . وذلك مما يدل على ان اصحاب العريضة معتقدون بامكان الامر الذي يطلبونه

ولكن اذا كان البشر لم يصطلحوا بعد على لغة يتفاهمون بها عامة فقد وُضعت لغة عامة للحيوانات . وضعها الدكتور « ديكروى » الفرنسوي الذي توفي في الشهر الماضي

وقد كان هذا الدكتور رئيساً « لجمعية مقاومة التدخين » في فرنسا فاستطاع تكريه التبغ والتدخين الى اكثر الطبقات الارستوقراطية العليا فيها . ثم جُعل رئيساً للقسم الاول من جمعية تربية الحيوانات فبدت منه في هذه الجمعية على الحيوانات شفقة جعلت الناس يلقبونه « صديقها ورفيقها » . ومن آثار هذه الشفقة وضعه لغة واصطلاحات اذا تعلمها سائقو المركبات والخيل والحمير والبغال وما اشبهها وعلموا حيواناتهم اياها استراحوا واراحوها من القسوة والضرب والتعذيب التي كثيراً ما يصيبونها بها لعدم فهمها او لسوء فهمها

اما هذه اللغة فهي مؤلفة من اربع كلمات فقط وهي — حي . ِحه . حا . حو(١)



(١) في الاصل : هي ده ها هو فابدلنا الهاء حاء متابعة للساقة في مصر الشام

فاذا شاء السائق ان يقول للحيوان تقدم صرخ به (حي) وان رام ان يقف صرخ (حو) وان رام ان يسير الى اليمين صرخ (حا) وان رام اليسار صرخ (حه) . و بذلك يكفى السائق والحيوان عناء وعذاباً

ذلك ان كل نزاع يقوم بيننا و بين رفاقنا الحيوانات يخصر في وقوفها وعنادها حين رغبتنا في ان تسير او سيرها حين رغبتنا في ان تقف فلغتنا معها اذاً مقصورة على الامور التي تقدمت : السير . الوقوف . السير نحو اليمين . السير نحو الشمال

وقد ذكرنا في الرسم الاول اصل هذه اللغة فنرسم الان فرعها

حي حي . سر ركضاً
حي . سر خطوة خطوة

حا : سر في جهة اليمين
حاحا : انحرف لليمين من غير سير

حه : سر في جهة الشمال
حه حه : انحرف للشمال من غير سير

حو . قف
حو حو . ارجع الى وراء

فاذا رام السائق او الراكب اركاض الحيوان صاح به (حي حي) مكرراً هذه الكلمة وان رام ان يسير الموينا اكتفى (بحي) واحدة . واذا كان يطلب انتقال الحيوان الى الشمال والسير في هذه الجهة صاح (حه) او الى اليمين مع السير صاح (حا) واذا رام الانتقال الى الشمال دون سير كرر (حه حه) او اليمين دون سير ايضاً كرر (حا حا) واذا اراد ايقافه صاح (حو) — خلافاً للصياح المالوف بين الساقة في مصر والشام وهو « هوس هوس » — واذا رام منه ان يعود الى وراء صاح به « حو حو »

ولكن الصعوبة ليست في وضع هذه الاصطلاحات او في تعليم البشر اياها ولكن في جعل الحيوانات تفهمها . فكيف يعلمون الحيوانات اياها

لذلك طريقة ليست صعبة بقدر ما يظن القارىء وهي

خذ اولاً الكلمة « حي » وهي كلمة الامر من فعل السير وجيء بفرس من افراس عربات النقل وقف وراءه . ثم مره بلهجة لطيفة « حي » فيبقى واقفاً حيث هو دون ان يفهم للكلمة معنى . فارفع صوتك حينئذ قليلاً وناد « حي » فيبقى الفرس ايضاً جامداً في مكانه . فاصرخ به حينئذ باعلى صوتك « حي » واردف الصوت بضربة قضيب او سوط على كفله فيثب الفرس بالطبع متقدماً . فدعه يسير مسافة قريبة ثم ناده بفعل الامر « حو » وهو الامر بالوقوف فيستمر سائراً فارفع صوتك واصرخ به « حو » بلهجة اشد فيبقى سائراً ايضاً فاصرخ للمرة الثالثة باعلى صوتك « حو » واردف ذلك بشد العنان فيقف

فاغتنم حينئذ فرصة وقوفه وامرّ يدك على جبهته ورقبته اشارة الى رضاك عنه لطاعته امرك ثم كرر هذا التعليم مراراً على الطريقة التي تقدمت حتى يتعلم الفرس ويدرك ان كلمة « حي » القوية يتلوها السوط وكلمة « حو » يتلوها اللجام فيتعلم ان يسير بعد سماعه الاولى ويقف بعد سماعه الثانية . ومتى تعلم هاتين الكلمتين جيداً فاشرع في تعليمه كلمتين اخريين ولكن حذار ان تعلمه اكثر من كلمتين في كل « درس » فانك تضيع عناءك سدى

وقد كتب الدكتور ديكروى عدة مقالات ورسائل بهذا الموضوع يستفزّ بها الناس الى الرفق بالحيوان ومعاملته باللين لانه رفيقنا وخادمنا الامين في هذه الحياة . وقد اعلن انه يمنح مكافاة لكل سائق يأتيه بفرس مدرب على الطريقة التي تقدمت فجاءه كثيرون من الساقة الذين علموا خيولهم طريقته فنالوا جوائزه . ومن جملة هذه الجوائز مدالية خصوصية جميلة انشاها الدكتور ديكروى لهذا الغرض خاصة وتعرف بمدالية لغة الحيوانات . وقد قال هذا الدكتور ان غرضي من هذا المشروع اسمى مما يظنه بعضهم . فانهم يقولون انني اريد به الرفق بالحيوان فقط مع انني اريد به الرفق بالحيوان والانسان معاً . فان الانسان متى تعلم ان يكون متادباً حتى مع حيواناته فذلك دليل على حدوث ارتقاء حسي في نفسه . واللغة التي اقترح تعميمها بين الساقة في جميع اقطار العالم تكفيهم خشونة القسوة على حيواناتهم وتعلمهم ان يكونوا اكثر تادباً معها

سياحة في غربي اوربا

كتاب في مقالة

بقلم حضرة الوجيه الفاضل عزتلو نسيم افندي خلاط الطرابلسي

اعتادت الجامعة ان تزف الى قرائها في كل جزء منها مقالة متضمنة زبدة كتاب من اطايب الكتب فيقرأ فيها القارىء في لحظة ما تعب هي في مطالعته وترتيبه وتلخيصه اياماً طوالاً . فيكون مثلها والقارىء في ذلك مثل من ياخذ خروفاً ويعالجه فيستخرج جميع مواده المغذية ويحصرها في كأس واحدة فيصبح من يتناول هذه الكأس كانه يتناول الخروف كله . . .

ولقد راينا القراء راضين كل الرضى عن هذا الاسلوب فعقدنا النية على مواصلة ذلك في كل جزء من اجزاء الجامعة . ووجدنا من الفائدة ان لا نجعل التلخيص مقصوراً على اطايب الكتب الافرنجية او الكتب القديمة بل ان نجعله شاملاً لكل الكتب التي يجب توجيه الانظار اليها وتُرجى الفائدة منها

اما موضوعنا في هذه المقالة فهو كتاب صدر حديثاً ولا يزال تحت التجليد وهو بقلم جناب عزتلو نسيم افندي خلاط احد اعيان طرابلس الشام وعنوانه « سياحة في غربي اوربا » . ومما يسر في هذا الكتاب بنوع خاص انه مكتوب بقلم تاجر غني مشهور بالميل الى العلم والادب لا بقلم كاتب صناعته الكتابة . ولذلك يجب على الكتاب ان ينظروا اليه « بالعين الكليلة » فضلاً عن الاحترام الواجب للمال متى اهتمّ بالعلم واشتغل به

وانَّنا كلما راينا المال في الشرق مهتماً بالعلم استبشرنا واتخذنا ذلك دليلاً محسوساً على التقدم . ثم تساءلنا : ايهما يشرف صاحبه . المال الذي يطلب العلم ام العلم الذي يجتذب المال اليه بنفحاته القدسية

ولقد ابتدأت هذه السياحة في الثامن من شهر ابريل (نيسان) من عام ١٩٠٠ فسار المؤلف من طرابلس الى بيروت فبورسعيد فالاسكندرية ومنها سار الى باريز عن طريق مرسيليا فوصلها في ١٢ مايو فزار المعرض وكثيراً مما في باريز وفرساليا من الآثار الفخيمة . ثم سار الى لندن فوصلها في التاسع والعشرين منه فزار كثيراً من متاحفها واماكنها العمومية . ثم قصد ليفربول ومنشستر وعاد منها الى فرنسا فسافر الى سويسره وايطاليا ووقف في اطلال رومه وزار مبانيها . ومن هناك كر راجعاً في ١٢ يوليو الى وطنه سوريا عن

طريق الاستانة بعد الوقوف على آثارها

وانما اشرنا الى هذه الاماكن في الاسطر التي تقدمت تمهيداً للكلام الذي سيجيء عنها . لانه لو لم يكن في هذا الكتاب من شيء سوى ذكر الذهاب والاياب ووصف المدن والجدران والابنية والمعروضات والسلع التي شاهدها السائح لما كلفنا القارئ عناء النظر فيها ولكننا رأينا الكتاب يتخلله آراء ادبية وملاحظات جديرة بالاعتبار وامور يلذ للقارئ الاطلاع عليها وافكار وتصورات واقعة احسن موقع في مكانها فرأينا من الفائدة ان نورد اهمها

استقبال جبال ايطاليا

قال حين استقباله جبال ايطاليا

« في صباح السابع من ايار اي بعد مضي ثلاثة ايام ونصف من مبارحتنا الاسكندرية اطلت علينا جبال ايطاليا وكان الهواء ساكناً والبحر هادئاً فذكرني منظرها جبال لبنان حتى خلتهن لعظم المشابهة اخواتاً اشقاء شقهن البحر حسداً واوقفهن على جانبيه يتغامزن عليه الى يوم تغيض البحار وتندك الجبال . ثم قابلنا جزيرة سيسيليا فرأينا على قمم جبالها مآزر من الثلج وعلى سهولها وشاحاً مطرزاً بياقوت ترابها وزبرجد نباتها واغراسها الى ان وصلنا الى مضيق ينفرج احياناً ويضيق اخرى رأينا على احدى عطفاته موقع مدينة مسينا فاشرفت عليها عن كثب فاذا هي بلدة صغيرة كان لها شان في منتصف القرن الحالي غصبته منها اسكلة برنديزي واضاعته عليها ثم تخرت الباخرة في جون راينا على يمينه الفلكان اتنا رابضاً فوق الماء بشكل هرمي تام المخروطية لكننا لم نر على راسه اثراً لنار او لدخان كأن القدم والهرم ابلياه بالخمود او اناماه ليستريح من شواغل اضرار الجوار بثورته فتذكرت ما قيل

تبارك من توفاكم بليل ۞ ويعلم ما جرحتم في النهار »

المقامرة واسطة التعارف

وقال في المقامرة كلمة لطيفة

« وكان البحر بين درجة ٣٦ و٣٩ عرضاً هادئاً والجو صافياً ازالا عني وعن سائر الركاب وعكة الدوار فاستطعت اذ ذاك ان الاحظ انتا كلما اقتربنا من مدينة مرسيليا تزداد السفينة نظافة ويتحسن طعامها كأن الربان يخشى الملام او عقبى الشكوى اذا انصلت بمقام ادارة الشركة . وقد كانت الايام التي مرت بين السادس والتاسع من الشهر ايام سرور وحبور

صرفنا معظمها مسامرة واقلها لعباً وقد ثبت وليته لم يثبت لديَّ ان اللعب لمن اشد دواعي التعارف والائتلاف لاني شاهدت اللاعبين المختلفين جنساً ولغة كانهم اخدان واخوان منذ الولادة حال كونهم لم يروا بعضهم يوماً قبل ذلك الحين وما ذلك الا لان الميسر اصبح كجواز سفر يُدخل كل غريب الى الجمعيات على اختلاف اقوامها ومشاربها ولغاتها باسرع من لمح البصر لا يحتاج الى اكثر من وضع يده على جيبه. حقاً ان ابليس اللعين لم يفتح عليه بخدعة مضلة لبني الناس اشد مكرًا وضررًا منها »

حمالو مرسيليا وساقتها

وقال في حمالي مرسيليا وساقتها

« رايت حماليهم عند نزولنا من الباخرة الى الرصيف حيث كان الزحام شديدًا وامتعة الركاب ركاماً يتمهلون او يقفون عند نقلها على المساحب المجرورة اذا صادفوا في طريقهم شخصاً واقفاً او يقولون له بلغتهم تفضل. مولاي وحدّ قليلاً ان شئت. ورايت لسائقي المركبات خلة لم اعرفها في بلادي وذلك اني ما اشرت مرةً بطلب سائق وجاء في آخر ولا وقفت امامهم وانا في هيئة مريد الركوب وتسابقوا اليَّ كما يفعلون في طرابلس و بيروت حيث يحيطون بالراكب و يتخاطفونه كحبة قوت القيت في حوض سمك »

مقتل هابيل

ونظر في متحف في مدينة ليون رسماً لمقتل هابيل فقال فيه

« وقد استوقفتني صورة لمقتل هابيل رايته فيها طريحاً معفرًا على الثرى تغشى وجهه الضاحي كمدة الموت وصفرته وحوَّاء حوله تتراوح بين ملامح الياس والرجاء والدهشة والحزن وآدم واقفاً مكفهر السحنة غضوباً يتلفت ذات اليمين وذات الشمال وقايين يعدو مدبرًا يرمق المشهد بلحظ خفي — صورة جمعت اقصى ما يستطاع للمخيلة تصوره لذاك الحادث الاثيم غير المسبوق وقوعه في اول عائلة انسانية »

كنيسة المادلين في باريز

« ولما كان دخولي اليها ابان القداس حضرته مرتاحاً لوقوفي على حالة لم اعهدها في الشرق وذلك من حيث السكينة والهدوء الشاملين الكنيسة والمصلين فيها على اتساعها ومن سماعي صلاة الكاهن والبعد بيني و بينه لا يقل عن خمسين مترًا. حالة ولا بد تأتت عن السكينة وعن احكام هندسة البناء حتى ليكاد يسمع فيها همس المصلي ولو كنت في

اقصاها. ثم انصرفت منها مفكرًا بهندسة كنيسة طرابلس الجديدة التي لا تُسمع فيها الصلاة الا لفظًا لسوء الهندسة »

متحف كرافين

« ورحت الى متحف كرافين حيث التماثيل الشمعية فادهشني ما رايت من دقة التشبيه واتقان التمثيل حتى كدت لا اميز بينها و بين الاحياء الوقوف والمتفرجين في ذلك الايوان ولقد اضحكتني سيدة كانت جالسة على مقعدٍ بقرب احدى التماثيل لما حدقت نظري فيها لاتبينها ان كانت تمثالاً او بشرًا حيًا بحملقتها بوجهي وتبسمها لان الكلام بحسب الاداب الاوربية ممنوع مع من لا يعرفونه ولو في هذا الظرف المفضل فيه ادبًا الكلام على الحماقة كما لا يخفى »

وقد راى في هذا المتحف « كتشنر باشا في سفينةٍ راسيةٍ امام فشوده جالسًا والى جانبه القائد مرشان ونجت باشا ينظرون في خريطة منشورة على طبلة وهو ينص على مرشان و رفقائه شروط خروجهم من الخطة المجاورة النيل التي افتتحوها بماضي عزائمهم »

المولين روج

« وقد حضرت غير مرة في ملعب « مولين روج » حيث يتناهى فيه الممثلون باشارات التهتك وعبارات اقبح المجون والرقص المائل المرتج فسالت سيدة انكليزية كانت وزوجها فيه على قرب مني عما نراه في هذه المشاهد فاجابت انها رات في سياحتها مع زوجها في مصر رقصًا اكثر عيبًا واشد بلاء على الشبيبة ونظرت في اواسط افريقيا وفي جهاتٍ من جنوبي اميركا من مشاهد الخلاعة والقصف حتى بين الامم المتحززة الى التمدن ما يحسب هذا بالنسبة اليه ادبيًا محتشمًا ثم اردفت كلامها بقولها ان الحشمة في الناس نسبية لن يتم لها الكمال اصلاً وان اطالة البحث فيها تاريخيًا ربما يفضي الى الظن بانها قهرية لا اختيارية . انتهى .

وقد رايت في هذه المراقص وفي غيرها من غرائب حركات الراقصات ما يستوقف النظر ويحير الفكر و يوجب الاندهاش واشدها غرابة ان الراقصة تنهض باحدى رجليها الى ام راسها ثم تلفت القدم على قذالها حتى تمسي اخمصها على الخد الايمن اذا كانت المرفوعة يسرى وتظل راقصةً على رجلٍ واحدة على وفاق توقيع انغام الموسيقى »

المعرض المصري

« ورايت المعرض المصري غير حاوٍ الا ما يصنعه الاجانب من حلي ومصاغ وما كل

وحلوى لا ما يصنع و يطبخ في قطرها السعيد غير اني رايت على باب معرضها جوقاً من الضار بين على الدر بكة والنافخين على المزمار والعازفين على العود وشممت عند الدخول اليه رائحة الند وشربت فيه القهوة على توركا لكن بثمن غالٍ ورايتُ على جدرانه في الخارج رسوم تماثيل واصنام مصر بقلم الاجانب عنها ولعل المعرض العثماني لا يختلف عن هذه الهيئة كثيراً او انه يرجع على ما مرَّ لاستحضار ملتزم مرسحه زمرةً من القيان الحسان من اطراف الشام واواسط لبنان لابسات ملابس مهجورة استلفاتاً للنظر واستجلاباً للمتفرجين . يُسقى في احدى زواياه الضيقة القهوة على توركا والاركيلة بالفحم الحجري فاظنه واظن سابقيه غير فالحين »

ابرع ممثلي باريز

«و بعد تناول العشاء ذهبتُ الى تياترمارتن المختص بالمشخص الشهير المسيو كوكلين فدخلته في الساعة الثامنة بعد الظهر فوجدته غاصاً بالحضور ولولا مساعدة صديق لامتنع عليَّ الحصول على تذكرة الدخول وفي الساعة الثامنة ونصف ارتفع ستار المرسح و بعد هنيهة برز كوكلين فدوى المكان وارتج تصفيقاً له وهكذا كان كلما اضحك بتشخيصه او ابكى يقوم له الحضور تكريماً وتهليلاً حتى اذا انتهت فصول الرواية رجعت الى فراشي منكراً كيف يكافأ من يبرع في حرفته في هذه البلاد وكيف يُعرض عمن نجب في بلادنا في امرٍ من الامور »

التقدم والدماء

وقد وصف قبر نابوليون الاول في سراي الانفليد وصفاً جميلاً اردفه بقوله « ان الفرنسو بين قوم يعشقون بل يعبدون العظمة الوطنية مهما اختلفت آراؤهم وصبغاتهم و يجلون من يوصلهم اليها باي الطرق سواء كان بالانتصار الملوث بالدم او بالاكتشافات النافعة او بالمشروعات التجارية الجسيمة . ويحبون الكسب و يطلبونه بكل الوسائل لكنهم ينافشون عظماءهم الحساب عن اقل غلط ولا يخجلون فيما لو ذموهم بعد المدح » ثم قال عند كلامه على « البانثيون » الذي هو مدافن الرجال العظام ان الحكومة اخذت تقرب القبور بعضها من بعض لتفسح مجالاً لرجالها القادمين اليه لانها انتبهت الى كثرة عددهم . واردف ذلك بهذا الفكر البديع « انقص الله عدد من يصل اليه على ظهور الناس واعناقهم ملوثاً بدمائهم وزاد في عدد من يبلغه حاملاً علم الفضل والرفق والانسانية » ولعل هذه العبارة ابلغ ما في الكتاب

اما حكم المؤلف على الفرنسويين واخلاقهم وتاريخهم الحديث منذ الثورة فقد دلَّ على انه ممن لا يحبونهم وكثيرًا ما كان في كلامه تحامل عليهم · وقد ظلم معرضهم باستصغاره ونسبة الفشل والخسارة اليه

نكتة

« والاعجب من كل ذلك ان من النساء من يتخذن مراحيض في معاطف الطرق وفي بهوات نفس المعرض العام ويدعون اصحاب الحاجة اليها ببدلٍ معلوم قدره عشرون سنتًا فاذا نهض الطالب دون قضاء الحاجة لامساكٍ عارضٍ وهمَّ بالخروج من باب الكنيف ثم احس وجلس ثانيةً على المقعد تقاضته اجرة مرتين فان ابان العذر علت وجهها صفرة السماجة لا حمرة الخجل وزودته باشنع الالفاظ — حكاية كنت لا اثبتها لولا النكتة فيها » اما نحن فقد اثبتناها لنقول بانه كان الاولى بحضرة المؤلف ان لا يثبتها

كتاب عربي

ولما زار مكتبة باريز الكبرى عثر على كتاب عربي مفتوح على المحفظة بين الكتب المجموعة في القرن الرابع عشر فقرأ في صفحته اليمنى هذه العبارة « انا لله وافوض امري الى الله ولا حول ولا قوة الا بالله لم يبقَ صافٍ ولا مصافٍ ولا معين ولا مُعين وفي المساوي بدا التساوي فلا امين ولا يمين » وفي الصفحة اليسرى « مني النفس وعديها واجمعي الرقاع وعدِّيها فقالت لقد عددتها لما استعدتها فوجدت يد الضياع قد غالت رقعة من الرقاع فقال تعسًا لك يا لكاع » وفي هذا الكتاب رسوم ملونة تمثل رجالاً وفرسانًا من الاسلام · ومن الاسف ان المؤلف لم يخبر عن اسم الكتاب

المعرض الروسي

« وظننت قبل الدخول اليه انني لا اجد فيه شيئًا يستحسن لما نقرأه في صحف القوم وعلى الخصوص صحف الانكليز من تاخرها في الصنائع وفي كل شيء حسن فاذا به من مصنوعات البلور والاجواخ والفرو واطقمة الخيل ما تفضل بها على الاكثر مصنوعات الممالك الا فرنسا وفيه رايت الخريطة التي اهداها قيصرها الى بلدية باريس وهي بقدر الزراع مربعًا حوت رسم مملكة فرنسا وكل اقليم بجوهرٍ كريمٍ غير ما ترصع به الاقليم الآخر من ياقوت والماس وزبرجد وعقيق الخ وتلبس ما حولها وما فيها من البحور باللازورد الازرق مكتوبًا عليها اسم كل اقليم بحروف من ذهب· هدية سنية كلفت خزانة القيصر مليونًا ونصف مليون من الفرنكات »

مصر في فرساليا

« ورايت على جدران احدى المخادع في قصور فرساليا صور ستة رجال من علماء مصر وكبرائها منها واحدة لعالم من عائلة السادات الوفائية واخرى للمعلم جرجس الجوهري واخرى للشيخ الشرقاوي

راي الفرنسويين في حكومتهم

« واعجب من هذا اني وجدت في من حادثته من ساقة المركبات الماماً بسياسة البلاد فمنهم من اجابني على سؤالي عما يراه في حالة الحكومة بقوله « اني لا احب هذه الحكومة لانه يتولاها رجال لا هم لهم غير الشهرة » وسالت آخر فقال « ان رئيس الجمهورية محالف لليهود » وثالثاً قال « ان الراي لاصلاح الحكومة انما قاله مسيو درولد المنفي الآن في اسبانيا » فقلت له وما رايه قال « اذا لم يكن الرئيس منتخباً بالصوت العام فلا شرع في الامة » ورابعاً قال « انا كنا قبل سنة ١٨٧٠ تحت حكم يلوح عليه صبغة الاستبداد فاصبحنا منذ ذلك التاريخ تحت حكم اللصوص » وخامساً قال « لقد بعد عنا عهد الحكم الملكي المطلق حتى امسينا لا نعرف شيئاً كثيراً عنه غير ما نقراه في المؤلفات المتضاربة بحسب اهواء كتبتها . لكن الحكومة الامبراطورية لقرب عهدها منا ما برحنا نذكرها بالخير ونظنها احسن حكومة تناسب بلادنا »

نقول ولكن الاعجب منه ان لا يكون بين هؤلاء الخمسة واحد راضياً عن الحكومة الحاضرة

خيول باريز

« اني لم ارَ فرساً مركوباً او جاراً مركبة الا وقد بُتر ذنبه كانه عضوٌ اخطات الطبيعة في وضعه في اقفية الخيل او ان راكبه يقوم مقام الذنب في دفع اذى الذباب عنه حتى خشيت مع الاستمرار على البتر ان تاتي مواليده بحسب ناموس الوراثة المكتسبة مبتورة الذنب ويصبح الذنب للفرس كما اصبح على رأي داروين للانسان عضواً اثرياً . غير اني مدحت من اصحاب الخيول اعتناءهم بها لاني لم ارَ حيواناً مركوباً او يجر مركبة الا وهو قوي ممتلئ الجسم لا كالحيونات الخاوية البطون المهزيلة المشدودة من الصباح الى المساء بين طرابلس واسكلتها »

عملية خياط

« ولما اصبح السادس والعشرون من الشهر ذهبت الى حانوت خياط كنت بالامس فصلت

عنده ثياباً فلما البسنيها للتجربة تباعد عني قليلاً ثم دار حولي ثم تقرب مني ببطء واخذ يرفع يداً وينزل اخرى وينهض راسي ثم يطاطئه ويشكل دبوساً وينزع آخر حتى كدت ازهق كما ازهق روحي عند التفصيل فانه وضع زاوية تحت ابطي وجيباً هندسياً فوق صابي ثم اخذ بالقياس وصار يمر القياس والادوات المذكورة على العضو الواحد طولاً وعرضاً فقد قاس بين الرسغ والكعب وبين الركبة والفخذ وبين الكتف والذراع لا اقل من عشر مرات وانا واقف صابر حتى اذا انتهى من عملية التشريح على الوجه المشروح سالته وما الداعي الى كل هذا العمل الشاق فاجابني فوراً ان لم يكن كذلك فباي شيء تفضل باريس غيرها »

المسلة المصرية

« ومررت بساحة الكونكورد وكنت قبل اليوم طرقتها مراراً دون ان تناجيني المسلة المصرية الواقفة في منتصفها وهي المنقولة من مصر اليها سنة ١٨٣٦ كما ناجتني الان بلسان حالها تسالني وكانها علمت بمجيئي من ارض ابآئها عن حال اخواتها الباقيات في تلك الديار وتقول هل علمن اني احضرت ذليلة الى هذا الموقف واني ما برحت باكية على اغترابي شاكية من ظلم التمدن الحالي كيف اباح اختطافي واستئساري وقد تظاهر بمنع الاختطاف والاسر . او ليس في استعباد الاثر والمتاع ما في استعباد النفس من المغبة والظلم لها . فاطرقت ولسان حالي يقول . ما دام لك عمرٌ يطاول الاجيال لا بد من يوم تاتيك صروفه بما يفرج عنك وينسيك الغربة . اما انا فلست بالباقي الى حين الصيحة الكبرى وتبدل الاحوال »

سواد لندن

« وقد شاهدت اثناء جولاني في شوارع لندن ان كل ظواهر بناياتها وجدرانها مدهونة بلون اسود قاتم فسألت وما السبب لاختيارهم هذا اللون على غيره من الالوان الزاهية اجبت انه لم يكن عن قصد بل جاءهم عفواً وكرماً من الدخان المتصاعد ليلاً ونهاراً من مداخن المعامل ومطابخ بلد حوت من السكان ما ناهز الستة ملايين نفساً ثم انتبهت الى يديّ وعنقي واكمام قميصي فوجدتها قد صبغت بالدهان الفاحم كما صبغ بصاقي وما حواه المعطس »

احترام النساء في اوربا

« ان الشيء الوحيد الذي تُعاب به هذه البلاد انما هو تغالي اهلها في تسويد النساء على الرجال ليس من جهة وجوب احترامهن وتقديم السجدة لهن في البيوت والمحافل والشوارع والممرات وسكك الحديد والسفن والسلالم (كنت اكشف راسي من اول السلم خينة

ان تفاجئني سيدة فيها واكون غافلاً عن كشفه لعدم اعتيادي كشف الراس) وتقديمهن على الرجال في كل محفل وطرد واهانة من يتجاسر على التدخين بحضرتهن بل فيما اعطينه من السيادة العلياء والسطوة الشماء على الحكام والحكومة وقد سمعت باذني من اولي الوقوف والادراك ان المراة في باريز اذا وقفت او وقف ظلها في طريق حق ضاع ذلك الحق على صاحبه واذا لطمت رجلاً على قارعة الطريق او داست عنقه وابدى ادنى شكوى او تأفف من فعلها رجمه القوم برجوم من السباب والتعيير كأن المراة معبود لا يُسأل عما يفعل ولهذا تراهن آمنات في عروشهن حاميات ذمار بعولهن واقاربهن متكئات على وسائدهن كأنهن عند انفاذ اغراضهن لم يحركن خنصراً او ماشيات في الشوارع مشية الطاؤوس بخترة وريشاً وبرقشة فويل لمن لا يوسع لهن طريقاً عند الاصطكاك او يدوس لاذيالهن ذنباً في المجامع المزدحمة والمراقص الحافلة . هذا وهن عزل من سلاح حق اعطاء الراي في الانتخابات العمومية فكيف بهن اذا اعطينه »

نيل مصر في الفاتيكان

« ورايت في غير حجرة في متحف الفاتيكان تمثالاً لنهر النيل جسيماً منتحياً عليه من علامات الشيخوخة الغضون ومن الشبيبة غضاضة العضل ضجيعاً مسنود الراس على وسادة وعلى جسمه ستة عشر طفلاً عراة مثله منهم من هو واقف على مساواة سطح فراشه ومنهم من يتسلق فخذه ومنهم من صعد الى صدره ومنهم الى عنقه وآخرون الى لحيته وآخرهم الى قمة راسه ماداً يده اشارة الى معنى كفى . فهذا التمثال واطفاله الستة عشر كناية عن النيل وعن زيادته تدريجاً والواقف على هامه رمز عن وصول زيادته لحد الطغيان »

زيارة البطريرك المسكوني . والانتخاب الانطاكي

وفي اليوم الرابع من يوليو وصل الى الاستانة فزار فيها عمود قيصر واضرحة السلاطين والمسلة المصرية والحية النحاسية ومعرض التماثيل الشمعية الذي تمثل فيه ازياء الجنود العثمانية واسلحتهم وجامع السلطان احمد وجامع آجيا صوفيا الكبير وقد اسهب في وصفها . وفي صباح اليوم السادس منه قصد حي الفنار لزيارة البطريرك المسكوني صاحب الغبطة قسطنطين الرابع الذي استقال حديثاً « فرايته ربع القوام صبيح الوجه وضاحه حنطي اللون خالطه الشيب كانه في آخر درجات الكهولة . وهو انيس المحاضرة يحسن التكلم بالافرنسية » وقد دار بينهما حديث طويل عن الانتخاب الانطاكي فاعترض غبطته على صحة الانتخاب وقال له ان ارثوذكس سوريا الذين يطلبون لانفسهم بطريركاً عربياً « ليسوا باعراب من

البلاد العربية بل هم من اورومة يونانية تعلموا العربية عقيب الفتح الاسلامي لا كما يدعي الآن بعض محازبيهم » فقال الزائر كما ورد في كتابه « ان الاولى بنزاهتكم وغيرتكم على الملة في اي يد كانت ازمتها ان تتفضلوا بمعاودة الصلة الروحية مع بطريركنا الجديد كيما لا يقال ان البعض لبولس والآخر لأبلوس » فاجاب « ان من احب الاشياء عندي ان اسمع عن تمتع جميع الكنائس بالراحة والهناء وارتباط اعضائها برباط الحب الصادق والوئام لكن قد يسوءني ما يبلغني من حين الى حين من اخبار الهرج والتقاطع والتضاغن والتخاصم الواقع بين اعضاء ابرشيتكم الطرابلسية دون اكثر ابرشيات الكرسي الانطاكي نفسه فلو صرف مطرانكم الموصوف بالفضل والتقوى جهدًا في ملافاة هذا الخلل المعيب يساوي نصف ما صرفه في المسالة البطريركية كما بلغني لكان قام بخدمة لرب الكنيسة ولرعيته يُثاب عليها يوم يُسأل كل راعٍ عن رعيته ولكان قدَّم بخورًا ذكي الرائحة امام العرش الالهي. وليته علم او يعلم ان التاريخ والناس اجمع لا يثبتون الفضل والحكمة لمن يتصدى للقيام بمشروع كبير او يتجشم ادارة مملكة و يكون مهملاً ومتراخيًا عن ادارة بيته . فالتمستُ اذ ذاك عن نيافة راعينا اعذارًا بكثرة مهامه واشغاله وافتتان رعيته وتعاقب غيابه عن كرسيه . قال اجلْ ما لمحتُ فيك من الاخلاص والتنكب عن المداهنة ان تلتمس عذرًا لقصوره في اهم ما يجب عليه بمثل كثرة اشغاله وافتتان رعيته وتعاقب اسفاره لان الرئيس الفاضل يقدّم الاهم على المهم ولا يُعد فاضلاً ما لم يمهد جبالاً من العثرات و يغلب اليأس في قومه. ثم انصرفنا نثني على لطفه ودعته و بلاغة عبارته »

هذا ما رأينا تلخيصه من هذا الكتاب . على انه يحتوي هنا وهناك كثيرًا من الملاحظات والافكار التي يجدر الالتفات اليها . منها قوله عن وضع تمثال للوزير ديزرئيلي بازاء كنيسة وستمنستر « فاجلت امةً تضع تمثالاً في كنائسها و بين آثار ملوكها وتماثيل عظمائها لرجل نبغ فيها من ارومة يهودية وقد مات مشكوكاً بنصرانيته » وقوله في لندن « لم ارَ في الامكنة التي زرتها اثرًا للبعوض والبق والبراغيث والذباب حتى كدت احكم ان هذه الاحياء ليست من قاطني تلك الاصقاع وطوبتُ بلادًا بلغت فيها النظافة ان تفني احياء خُلقت منذ الازل لتكون عقابًا للانسان على الاقذار والوساخة » وقوله عن الايطاليين « فوجدت اهل مراتب الدنيا منهم اقل احتلابًا لجيوب الاغراب واكثر حياء في استدرار الايدي من جيرانهم الفرنسويين » وفي الصفحة ١٣١ كلام عن التنازع بين

العمل والمال والمذاهب السياسية والاشتراكية يدل على ان كاتبه من حزب اصحاب الاموال الراضين عن الحالة الحاضرة كل الرضى · وقوله عن اخلاق الاتراك « هم قوم يلينون لكل كلام لطيف ولو كانوا في اشد حالات الغيظ ويكرمون النزيل والجار ولا يانفون من تحية الغريب ويغضون الطرف عن هفوات لا يغض عنها غيرهم من الامم الا اذا كان لها مساس في الشان الوطني » وقوله عن توقيت مواعيد الطعام في انكلترا « وخرجت باكرًا من حجرتي كي اتناول طعام الصباح كأن المعدة في انكلترا غيرها فيما سواها تراقب مواقيت الطعام مراقبة المشوق المستهام » وغير ذلك كثير

هذا ولا يؤخذ على المؤلف بعض هفوات او اصطلاحات في كتابه مثل كتابته (نوترضام) مكان (نوتردام) و(مضام) مكان (مدام) و(غائر) بدل مغير و(الملي) بدل (الوطني) — لان الملة شيء والوطن شيء آخر وهذا امر نعرفه جيدًا في الشرق — وكقوله التغالي بدلاً من المغالاة · وغير ذلك · فان الكتّاب انفسهم كثيرًا ما يسقطون في مثل هذه الهنات · ولم يكن يُطلب من سائح دقيق النظر ليست صناعته الكتابة الالتفات اليها ولكن الى ما وراءها من الفوائد والافكار الحسنة وعوائد القوم · وقد جاءنا بكثير من هذه الافكار والعوائد والفوائد وان كان بعضها لا يسلم من التحيز والاعتلال · فنثني على همته وفضله خير ثناء ونرجو ان يكثر الله امثاله بيننا من الاغنياء

وقد نظم حضرة العلامة المفضال صاحب الفضيلة الشيخ حسين الجسر من اكابر علماء طرابلس الشام بيتين شائقين قرظ بهما رحلة صديقه النسيم وهذا نصهما

قالوا نسيم اللطف حرر رحلةً ... اهدى بها للشرق عرف المغربِ
لا تعجبوا ان النسيم اذا سرى ... اهدى سراه كل عرفٍ طيبِ

المسلمون في بلاد الصين

وارسال وفد ديني اليهم

الاسلام في الصين· ثورة اسلامية كادت تثل عرش الصين منذ ٣٠ سنة · ترجمة زعيمها وهو امام مسلم في الصين عالي الهمة يجهله المسلمون · لولا اختلاف المسلمين لكانت الصين الآن سلطنة اسلامية ·قصة للمسعودي عن الصين

للمسلمين في الصين تاريخ كبير راينا ان نقصه على القراء بمناسبة ارسال الخلافة الاسلامية وفداً دينياً اليهم· وقد وصفناه «بكبير» لان حوادثه بلغت من الكبر والاهمية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ما كاد يقضي على الصين ويملك المسلمين ناصيتها · ولو تم هذا الامر لتجدد شباب تلك الدولة القديمة الضخمة ولما كانت حيث هي من اوروبا اليوم · ولبيان ذلك نقول

الاسلام في الصين ان الاسلام دخل الى الصين مع تجار العرب والفرس الذين كانوا يترددون على الثغور الصينية منذ صدر الاسلام · وما برحت التجارة قبل ذلك العهد وبعده سبيلاً لنشر تمدن البشر واديانهم وعاداتهم· وكان العرب يسمون ملك الصين «فغفور» وهي كلمة مشتقة من كلمة «بغبور» الفارسية ومعناها «ابن الله» اي ابن السماء كما يسمون امبراطور الصين اليوم· وقال المسعودي في تاريخه مروج الذهب ان العامة كانت تسميه «يعبور» وتفسير ذلك ابن ماء السماء · والاول هو الاصح · وقد كتب عن الصين المسعودي وابو الفداء وابن بطوطة الرحالة الشهير الذي يقول انه ساح فيها في ذلك العهد وغيرهم من كتاب العرب اموراً بعضها صحيح و بعضها غير صحيح و ربما اشرنا الى شيء منها في ختام هذا الفصل

الا ان سير الاسلام في الصين كان بطيئاً لاول عهده واستمر كذلك حتى وفاة «جنكيزخان» الفاتح التتري فحل الاسلام محل البوذية في جهات دجاجاتي ثم قامت على تخت فارس دولة اسلامية في اواسط القرن السابع عشر فبدأ النزاع يومئذ بين الاسلام والوثنية فحارب ملك الفرس واحفاده ملوك الصين من عام ١٧٥٥ الى عام ١٨٢٨ فانتشر الاسلام في اثناء هذه المدة في اطراف الصين انتشاراً عظيماً

الثورة الكبرى ولما انتصف القرن التاسع عشر كان المسلمون منتشرين في جميع الاقطار الصينية غير انه كان لهم اقليمان خاصان بهم لكثرة عددهم فيهما وهما اقليم يونان

واقليم تيينشان . ففي عام ١٨٥٥ كان مسلمو يونان والصينيون مواطنوهم مكبين على استخراج الرصاص والكبريت من معادن في اراض واقعة على مسافة خمسة ايام من « تاليفو » وكانوا جميعاً في احسن حال من السعة والغنى . غير انه لما كان الصينيون اقل نشاطاً وتدبيراً من المسلمين فقد افضى الامر الى غنى هؤلاء واضاعة اولئك كل مكاسبهم فاصبح المسلمون في نعمة وخير بسبب اجتهادهم واقتصادهم وكادت تتم لهم ملكية جميع تلك المعادن فحسدهم الصينيون وهم مشهورون بالحسد والطمع فجاؤوهم افواجاً افواجاً وطلبوا منهم ان يشغلوهم في معادنهم فرفض المسلمون ذلك فهجم عليهم الصينيون فتضارب الفريقان تضارباً افضى الى قتل بعض من الجانبين ولكن المسلمين تمكنوا من رد الصينيين عنهم وهزيمتهم . وكان هنالك حاكم صيني فخاف على نفسه من هذه الفتنة ففر الى مدينة يونانفو عاصمة يونان وكتب تقريراً التي فيه تبعة الحادثة على المسلمين دون سواهم فاخذ المسلمون يتحصنون في معادنهم واماكنهم وقد احسنوا في ذلك لان الصينيين لم يلبثوا ان اعادوا الكرة عليهم بعدد عظيم من رجالهم وهاجموهم حتى الى قراهم ومزارعهم وذبحوا كل من وصلت اليه ايديهم من النساء والرجال والاولاد المسلمين . فتداخل حكام الجهات بعد هذه المذبحة واخمدوا ثائر الفتنة وسكنوا خواطر المسلمين وما درى المسلمون ان هذا التسكين خديعة ارادوا بها ذر الرماد في عيونهم ليغمضوها عما كانوا يعدونه لهم

وبيان ذلك انه كان في وزارة الحربية رجل يدعى هنغ تشنغ وهو وكيل الوزير وكان هذا الرجل شديد البغض للمسلمين فسعى في السر ودبر مؤامرة عليهم اي احداث مذبحة عامة فيهم افناء لقوتهم واضعافاً لعصبيتهم . وكان موعد المذبحة السري يوم ١٩ مايو من عام ١٨٥٦ . فلما حان هذا الميعاد هاجم الصينيون المسلمين في مدن (يونان) وقراها ولكن المسلمين كانوا قد دروا بالمؤامرة من حسن الحظ فلم يُقتل منهم غير نفر قليل . فقاموا بعد هذه الحادثة الى القتال وتحصين مراكزهم بزعامة امام لهم يُدعى (ما تحسين) وكان شيخاً في الخامسة والستين من العمر

❊ ترجمة امامهم ما تحسين ❊ واذا ذكرنا امامهم (ما تحسين) فنحن نذكر رجلاً عالي الهمة كان معروفاً في الاستانة ومصر لانه زارها منذ سنين . وقد ولد هذا الرجل قريباً من بلدة تالي في الصين وكان ابوه تاجراً فادخله الى مدرسة صينية لتعليمه اللغة الصينية وشيئاً من آدابها ثم نقله منها الى احد جوامع البلاد لتعليمه اللغة العربية وآداب الدين الاسلامي . فلما اخذ شيئاً من ذلك سار في قافلة من القوافل العديدة

التي تتراوح بين برمانيا و يونان فوصل الى رنجون وهو ثغر من ثغور برمانيا قرب مصب نهر (ايرودي) فنزل في احدى السفن التي تقل الحجاج الى الحجاز قاصداً الحج الى مكة المكرمة . وكان ذلك في عام ١٨٣٩

فلما وصل الى مكة اقام فيها طويلاً فاتم درس اللغة العربية ثم قدم الى مصر فاقام في الاسكندرية والعاصمة مدة وطاف كثيراً من بلدان القطر ثم سافر الى الاستانة مركز الخلافة الاسلامية فاقام فيها سنتين . وقد احسنوا استقباله في الاستانة واكرموا وفادته . ولكن المال الذي كان معه لم يلبث ان نفد منه في هذه السياحة الطويلة فراى نفسه مضطراً للعودة الى بلاده فسافر من الاستانة الى الاسكندرية فاقام فيها مدة ثم سافر منها الى سنغابور ومكث هنالك سنة تامة ليتحقق امراً ذكره له « احد الفلكيين » في الاستانة وهو ان الايام في سنغابور متساوية على مدى السنة

وبعد هذه الغيبة الطويلة عاد الى وطنه عن طريق نهر كنتون وذلك في عام ١٨٤٦ فكانت مدة سياحته سبع سنوات

وكان ما تحسين نبيهاً محبوباً منذ صغره فلما اتم دروسه في مدارس الصين صار المسلمون فيها يجلونه و يكرمونه . ولكنه لما برح الصين قاصداً بلاد الحجاز ثم عاد اليهم واسع الصدر بما وعاه في اثناء سياحته ممتلىء اليدين بما عاد به من آثار المدنية الحديثة ومصنوعاتها فضلاً عن بركة الحج التي تكون للحجاج العائدين الى بلادهم لا سيما اذا كانت هذه البلاد بعيدة وقلما يحج سكانها — بالغوا في اكرامه واجلاله وجعلوه اكبر ائمتهم . فاقام ما تحسين يحسن اليهم و يدبر شؤونهم حتى فاجأته تلك الفتنة

فبعد المكيدة التي تقدم ان الصينيين كادوها له ولقومه جمع رجاله وكان عددهم عشرين الفاً فقدم عليهم رجلين شديدي البأس عالمين بفنون القتال . الاول يدعى (تونسيو) وهو اديب من ادباء المسلمين الصينيين الحائزين للشهادة العلمية وذو مكانة لديهم . والثاني يدعى (ما حسين) وهو رجل كبير الهمة وقد قتل اخوه في الفتنة الاولى التي حدثت في المعادن . ثم ان المسلمين قسموا جيشهم واغاروا على الصينيين فما جاءت سنة ١٨٦٠ الا وكانوا متغلبين عليهم في كل الجهات التي هاجموهم فيها . وقد استولوا على يونان فو عاصمة اقليم يونان منذ الهجمة الاولى

فلما رأى حكام الصين ذلك ذعروا وسالوهم الصلح بناء على ان يعين (ما تحسين) حاكماً عاماً لاقليم يونان ويُمنح القائد (ما حسين) لقب جنرال و يولى قيادة فيلق صيني . فانقسم

هنا جيش المسلمين انقساماً اليماً . فان الامام والقائد ما حسين رضيا بالصلح ولكن القائد (توونسيو) رفض المصالحة واصرّ على القتال فتركه القائدان الاولان وشانه وصالحوا الصينيين واستمر (توونسيو) يقاتلهم وحده

وقد اجمع مؤرخو هذه الحركة على انه لو اقام الامام ما تحسين والقائدان ما حسين وتوونسيو على مقاتلة الصينيين واستمروا على مطاردتهم لقلبوا العرش الصيني واقاموا مكانه عرشاً اسلامياً . و يقول بعضهم ان الامام ماتحسين والقائد ماحسين طمعا يومئذ في الرئاسة فاختارا الصلح ولو اصرّ الصلح في اخوانهم الذين لم يصالحوا بتجزئة قوتهم واضعاف عضدهم . ولكن يلوح لنا ان الامام ما تحسين لم يرضَ بالصلح لهذا السبب فقط . فانه كان رجلاً عاقلاً عليماً بما وراء الصين الضخمة من القوة الهائلة اذ لم تكن اليابان قد فضحت الصين بعدُ وأرت العالم بحربها الاخيرة مبلغ ضعفها مع ضخامة جثتها ولذلك أعظم الامام ماتحسين الاقدام على فتح الصين كلها بعشرين الف من الرجال و رضي بصلح شريف نافع

اما القائد (توونسيو) فانه استمر مع جيشه على مقاتلة الصينيين فسمى نفسه « سلطاناً » واتخذ مدينة تاي عاصمة لملكه . وكان القائد ماحسين قد غير اسمه ودُعي (ماجولونغ) وولي قيادة فيلق صيني لحاربه (توونسيو) وهزمه . ومن الاسف ان يحارب الاخ اخاه . ثم كرّ توونسيو على جيوش الصين فهزم بعضها وحده وحصر يونانفو عاصمة اقليم يونان

وكان في هذه العاصمة الامام ما تحسين والقائد ما حسين وقد جُرح هذا في اثناء المعركة التي انهزم فيها فبذل توونسيو قصارى جهده ليستميلها اليه فذهب سعيه عبثاً . فسالها بما بينهما من صلة الدين ان يساعداه على الاقل على فتح المدينة وذلك بتسليمها اليه لانها كانت في ايديها فرفضا ذلك من امانتهما للسلطة الصينية . فاقام توونسيو على حصرها وقتاً طويلاً ومما اطال مدة الحصار اشتغال الجنود الصينية بخوارج من قبائل المياوتسو والميانتسو كانت قد خرجت على الصين

ولما طال الحصار كثيراً تعب الجيش الحاصر و بدا اضطرابه واستياؤه فاضطر قائده توونسيو ان يعود به الى تالي عاصمته فطارده الصينيون اليها وحصروها ففتحوها في ١٥ يناير من عام ١٨٧٣ وامعنوا في اهلها قتلاً ونهباً . اما القائد توونسيو فانه تجرع السم قبل دخولهم اليها . و بذلك انتهت الفتنة وعادت البلاد الى الصينيين

﴿ الثورة الصغرى ﴾ هذه هي تفاصيل الثورة الكبرى باختصار . واما الثورة الصغرى فهذا تفصيلها

كان في تشكند على حدود الروس في آسيا الصغرى رجل يُدعى « يعقوب بك » وقد ولد هذا الرجل في تلك الجهات وتعلم فنون القتال في وقائعه مع الروس لانه كان ذا يدٍ في كل الاضطرابات والقلاقل التي حدثت في اواسط آسيا . ولما اتصل هذا الرجل بالامير بورزوق خان زين له ان يستولي على ولاية كشغار في حدود الصين مما يلي افغانستان لانها كانت في فوضى واضطراب فهاجمها الامير في عام ١٨٦٣ واستولى عليها . ولكن بورزوق خان كان رجلاً ضعيف العزم والراي خلافاً ليعقوب بك الذي كان كبير الاماني والآمال فقام عليه يعقوب بك ونفاه وقبض على ازمة الامارة مكانه . وكانت امارته واسعة الاطراف لحسده الصينيون وادعوا ملكية اراضي كشغار البعيدة عنهم مع انهم لا يدعون بسوى السيادة على اراضي كوريا وانام القريبة منهم والتي هي جزء من بلادهم . ومما زاد حقدهم عليه انهم رأوه قد اغتنم فرصة الفتنة الاسلامية وانشأ لنفسه تلك الامارة الواسعة فانتظروا حتى فرغوا من ثورة يونان على ما تقدم وساقوا عليه جيشاً ضخماً

وكان يعقوب بك الذي تلقب بعد الامارة « يعقوب خان » مهدداً من جانبين : من جانب الصين ومن جانب الروس . فاخذ يطلب حلفاء تشد ازره . فكتب الى الاستانة يبايع الخليفة ويستعينه وكانت الدولة يومئذ في مشاكل وقلاقل فلم تسمع له . ومن المؤرخين من زعم ان الاستانة وعدته خيراً واذنت له بان يسمي نفسه « امير المؤمنين » وهو خطأ يعرفه كل مسلم اذا جهله بعض مؤرخي الافرنج . ولما لم يجد له عوناً في الاستانة اتجه الى انكلترا واستمدها على الصين وعلى روسيا . وكان من مصلحة انكلترا ان تحالفه ليكون لها ردءاً وعوناً على روسيا اذا هاجمت الهند ولكنه كان بين كشغار والهند جبال كثيرة تحول دون وصول جيش كشغار اليها ولذلك لم تعبأ انكلترا كثيراً بمصادقته . فاصبح يعقوب خان ولا معين له غير جيشه القوي الذي نظمه على الطريقة الاوربية . ولكن هذا الجيش مع قوته لم يثبت طويلاً امام جيش الصين فاستولى الصينيون على كشغار في عام ١٨٧٧ وتوفي يعقوب خان قبيل ذلك من همه وحزنه

هذه هي خلاصة الحركة الاسلامية في الصين . ويقدر كتّاب الافرنج المسلمين في بلاد الصين بعشرين مليوناً وغيرهم يجعلهم ٣٠ او ٥٠ مليوناً . فاذا ارتبطوا بالخلافة الاسلامية ارتباطاً وثيقاً صار لحكومة الاستانة شان كبير في الصين وكان لها تاثير في حل المسالة الصينية يوم حلها

﴿ قصة للمسعودي عن الصين ﴾ وقد وعدنا في مقدمة هذا الفصل ان نذكر شيئاً

مما كتبه كتاب العرب عن الصين وانجازًا للوعد ننشر قصة للمسعودي عن سائح عربي وصل الى تلك الاقطار . ولا ننشرها لاننا نعتقد صحتها بل لتكون مثالاً لكتاباتهم في الجوغرافيا والتاريخ . قال المسعودي

«من ظرائف اخبار ملوك الصين ان رجلاً من قريش من ولد هبار بن الاسود خرج الى مدينة سيراف وكان من از بأب البصيرة ثم ركب منها في بعض مراكب بلاد الهند ولم يزل من مركب الى مركب ومن بلد الى بلد الى ان انتهى الى بلاد الصين الى مدينة خانقو وكان الملك يومئذٍ بمدينة حمدان فاقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع و يذكر انه من اهل بيت نبوّة العرب فكتب ملك الصين الى الملك المقيم بخانقو يامره بالبحث عنه وعما يدعيه الرجل من قرابة نبي العرب صلى الله عليه وسلم فكتب صاحب خانقو بصحة نسبه فاذن له في الوصول اليه فلما وصل اليه قال له الملك فما منزلة سائر الملوك عندكم فقال مالي بهم علم فقال للترجمان قل له انا نعدُّ الملوك خمسة فاوسعهم ملكاً الذي يملك العراق لانه في وسط الدنيا والملوك محدقة به ونجد اسمه عندنا ملكاً و بعده ملكنا هذا ونجده عندنا ملك الناس لانه لا احد من الملوك اسوس منا ولا اضبط لملكه من ضبطنا لملكنا ولا رعية من الرعايا اطوع لملكها من رعيتنا فنحن ملوك الناس . ومن بعده ملك السباع وهو ملك الترك الذي يلينا وهم سباع الانس . ومن بعده ملك الفيلة وهو ملك الهند ونجده عندنا ملك الحكمة ايضاً لان اصلها منهم . ومن بعده ملك الروم وهو عندنا ملك الرجال لانه ليس في الارض اتمُّ خلقاً من رجاله ولا احسن وجوهاً منهم . فهولاء اعيان الملوك والباقون دونهم . ثم قال للترجمان قل له اتعرف صاحبك ان رايته يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القرشي وكيف لي برؤيته وهو عند الله عز وجل فقال لم ارد هذا وانما اردت صورته فقلت اجل فامر بسفط فاخرج فوضع بين يديه فتناول منه درجاً وقال للترجمان اره صاحبه فرايت في الدرج صور الانبياء فحركت شفتي بالصلاة عليهم ولم يكن عندهم انا نعرفهم فقال للترجمان سله عن تحريكه لشفتيه فسالني فقلت اصلي على الانبيـاء فقال ومن اين عرفتهم فقلت بما صور من امورهم . هذا نوح عليه السلام في السفينة بمن معه لما امر الله عز وجل الماء فعم الماء الارض كلها بمن فيها وسلمه ومن معه . فقال اما نوح فصدقت في تسميته واما غرق الارض كلها فلا نعرفه وانما اخذ الطوفان قطعة من الارض ولم يصل الى ارضنا ان كان خبركم صحيحاً فعن هذه القطعة . ونحن معاشر اهل الصين والهند والسند وغيرنا من الطوائف والامم لا نعرف ما ذكرتم ولا نقل الينا اسلافنا ما وصفتم . وما ذكرت من

ركوب الماء الارض كلها فمن الكوائن العظام التي تفزع النفوس الى حفظه وتتداوله الامم ناقلة له . قال القرشي فبهتُ الرد عليه واقامة الحجة لعلمي بدفعه ذلك. ثم قلت وهذا موسى صلى الله عليه وسلم و بنو اسرائيل فقال نعم على قلة البلد الذي كان به وفساد قومه عليه ثم قلت هذا عيسى ابن مريم عليه السلام على حماره والحواريون معه فقال لقد كان قليل مدته انما كان امده يزيد على ثلاثين شهرًا شيئًا يسيرًا. قال ثم رايت صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جمل واصحابه محدقون به في ارجلهم نعال عربية من جلود الابل وفي اوساطهم الحبال قد علقوا فيها المساويك فبكيت. فقال للترجمان سله عن بكائه فقلت هذا نبينا وسيدنا وابن عمنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت لقد ملك قومه اجلّ الممالك الا انه لم يعاين من الملك شيئًا انما عاينه من بعده ومن تولى الامر على امته من خلفائه. ثم سالني عن الخلفاء وزيهم وكثير من الشرائع فاجبته على قدر ما اعلم منها. ثم قال كم عمر الدنيا عندكم فقلت قد تنوزع في ذلك فبعض يقول ستة آلاف وبعض يقول دونها وبعض يقول اكثر منها فقال ذلك عن نبيكم فقلت نعم فضحك ضحكًا كثيرًا ووزيره ايضًا وهو واقف على انكار ذلك وقال ما حسبت نبيكم قال هذا فذللت وقلت بلى هو قال ذلك فرايت الانكار في وجهه ثم قال للترجمان قل له ميز كلامك فان الملوك لا تكلم الا عن تحصيل . ثم قال لي لم عدلت عن ملكك وهو اقرب اليك دارًا ومنسبًا قلت بما حدث على البصرة ووقوعي الى سيراف ونزعت بي همتي الى ملكك ايها الملك فسره ذلك وامر لي بجائزة سنية وخلع شريفة وامر بحملي على البريد الى مدينة خانقو وكتب الى ملكها باكرامي وقدومي على من في ناحيته من الامم واقامة النزل الى وقت خروجي عنه فكنت في اخصب عيش وانعمه الى ان خرجت من بلاد الصين» انتهت قصة المسعودي باختصار

مصر القديمة وآثارها

(المسلات المصرية)

مهاجرة ابناء مصر ومهاجرة آثارها · كيف كان المصريون يصنعون المسلات · طريقة نقل مسلة سيزوستريس من الاقصر الى باريز · نقل مسلة كليوبترة من الاسكندرية الى لندن · المسلات والتمدن القديم والحديث

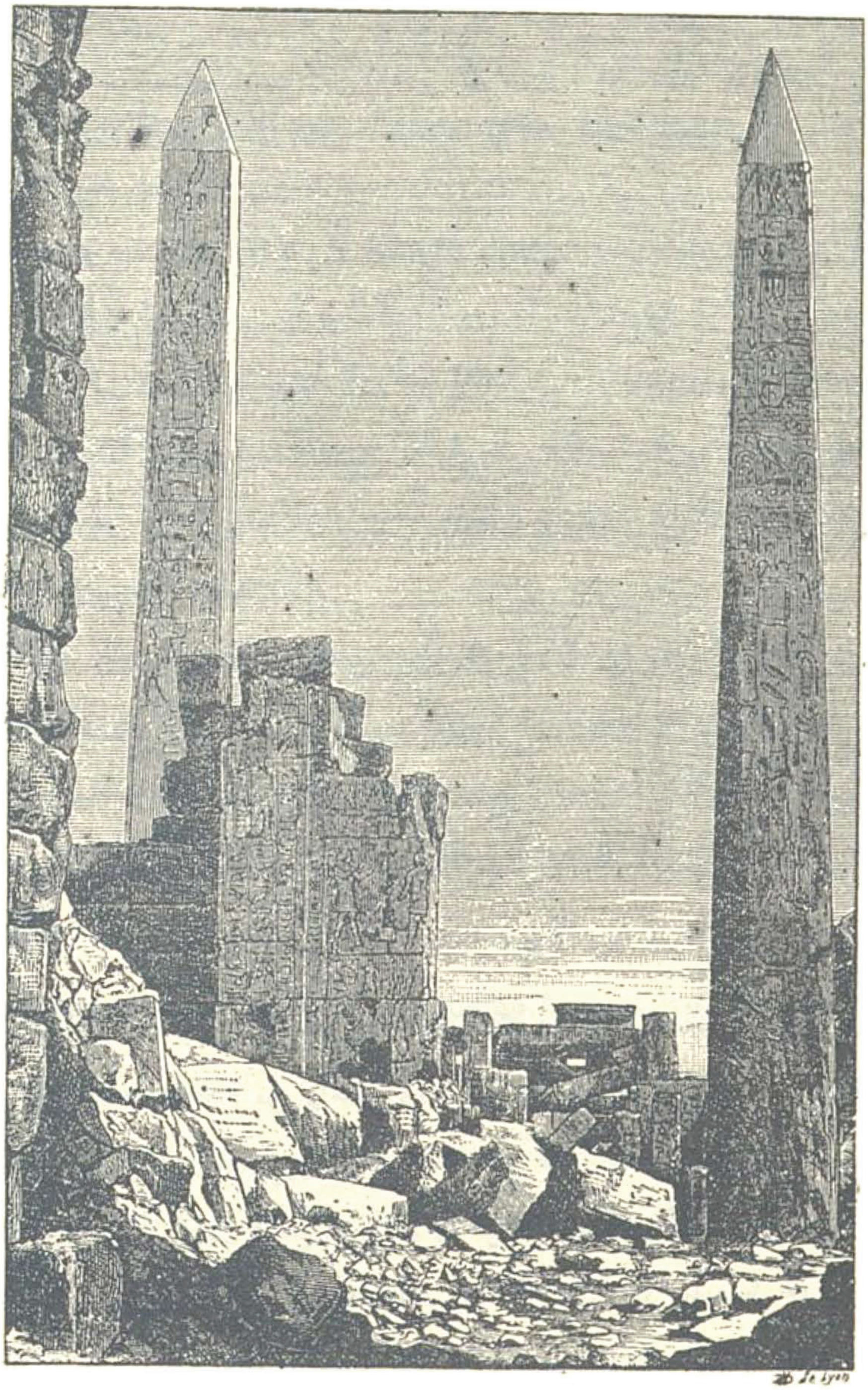
لو كانت مصر يهاجرها ابناؤها كما تهاجرها آثارها لاستفاد المصريون فوائد كثيرة · فانك لا تدخل متحفاً في بلد من بلاد العالم المتمدن الا وتجد فيه شيئاً من آثار التمدن المصري القديم · وكل متحف خلا منها كان متحفاً ناقصاً · اما المصريون فقلما تجد منهم احداً في الاقطار البعيدة · فهم في ذلك مع آثارهم على طرفي نقيض · فليتهم يعكسون هذا الامر وذلك ان يبقوا آثارهم في بلادهم حرصاً عليها ويهاجروا هم الى اقطار العالم بدلاً منها فان ذلك يعود عليهم نفعاً مزدوجاً

ومن الآثار المصرية ما يهاجر مصر بسهولة فيحمله الاوروبيون في الصناديق والحقائب والجيوب ويعودون به فرحين مسرورين بالغنيمة · ومنها ما يعانون في نقله من المتاعب والمشاق والاهوال ما يدلنا على مبلغ اهميته لديهم · ومن هذا القبيل المشاق العظيمة التي عاناها الفرنسويون والانكليز في نقل المسلة المصرية ومسلة كليوبتره الى باريز ولندن كما سنقصه فيما يلي

﴿ كيف كان المصريون يصنعون المسلات ﴾ وقبل ذلك فلننظر كيف كان المصريون يصنعون المسلات قطعة واحدة من راسها الى قدمها وما هو الغرض من صنعها · فنقول

نقل مؤرخو اليونان والمصريين ان فراعنة مصر كانوا اذا ارادوا انشاء مسلة يرسلون عمالهم الى مقالع حجر الغرانيت في سيان (اصوان اليوم) فيخط هؤلاء العمال على قطعة واحدة من الصخر رسم المسلة ويأخذون بقطعها مربعة اي ذات اربعة سطوح · ولما تنكشف سطوحها الثلاثة ولا تعود متصلة بالصخرة امها الا بواسطة السطح الرابع ينقبون تحت هذا السطح ويأتون بقطع من الخشب والحطب ويزجونها في الثقوب التي يفتحونها تحته ثم يصبون ماء على الحطب والخشب فيتمدد الخشب والحطب عند تشربهما الماء فينفلق الصخر تحت المسلة بالتدريج من غير عنف ولا قوة فان العنف والقوة يضران بالمسلة · وهكذا حتى

ينفصل السطح الرابع عن الصخرة . فيجيء العمال حينئذ باغصان كثيرة ويبسطونها على الارض ثم يدحرجون المسلة عليها ويشدونها الى سرب من البقر وجماهير من البشر — لان البشر كانوا بمنزلة البقر في ذلك الزمان — ثم يسوقونها الى حيث يأمرهم الملك بنصبها .



﴿ مسلتا سيزوستريس في خرائب الاقصر ﴾

(المسلة المنقولة الى باريز)   (المسلة الباقية في الاقصر)

ولكنهم قبل نصبها ينحتونها و يصلحونها و ينقشون عليها بالقلم الهيروغليفي (اللغة المصرية القديمة) الكتابات التي يريد الملك تخليدها · وهذه الكتابات ظاهرة على المسلتين في الرسم الموضوع في هذا الفصل

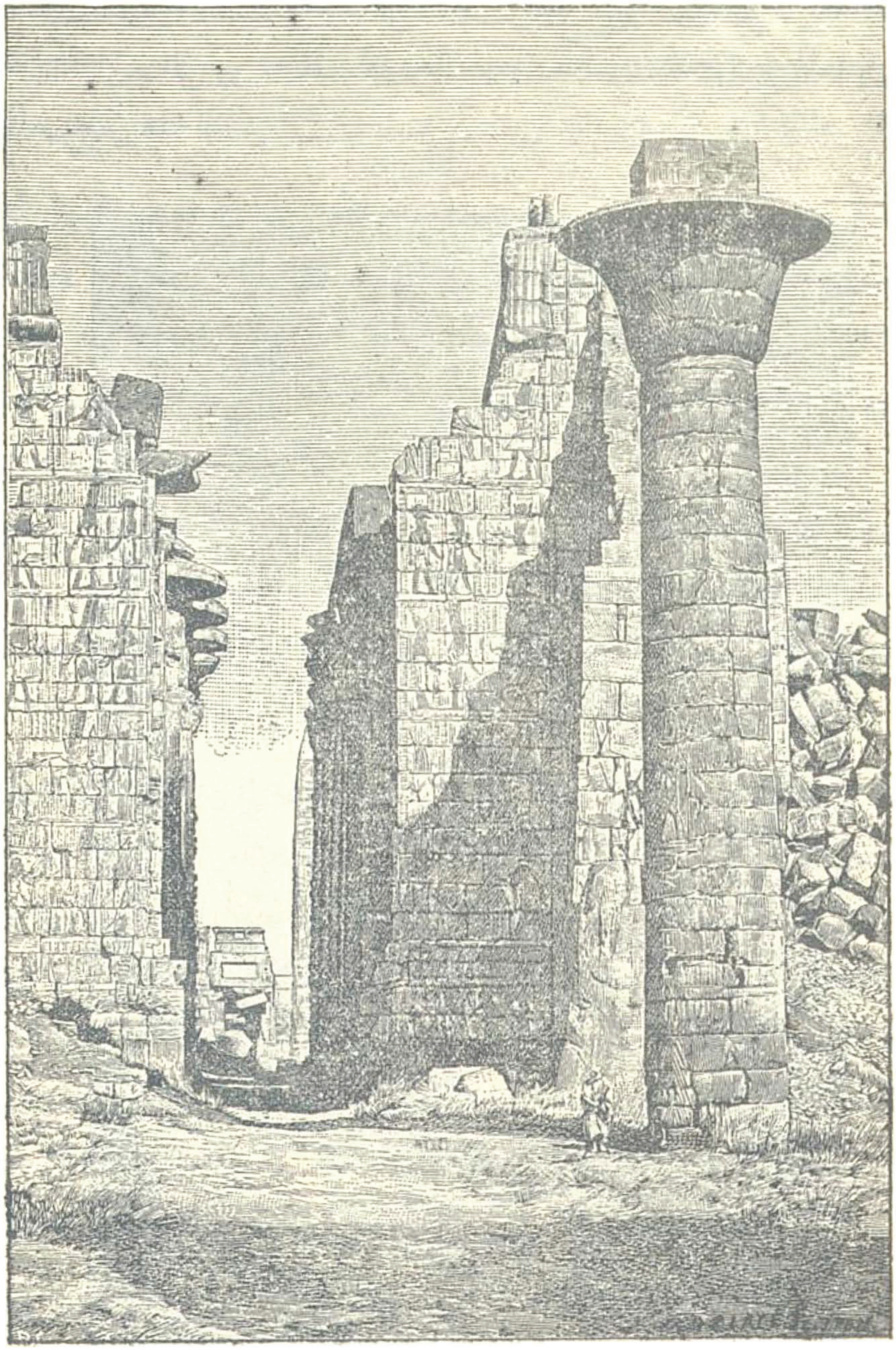
﴿ المسلة المصرية في باريز ﴾ اما المسلة المصرية المنصوبة الآن في ساحة « الكونكورد » في باريز فانها كانت منصوبة في الاقصر وقد نصبها هنالك سيزوستريس العظيم امام باب قصره تزيينًا له (١) وهي متناهية في الضخامة · فان طولها يبلغ ٢٢ مترًا ومحيط دائرة قاعدتها ٩ امتار و٧٠ سنتيمترًا وثقلها ٢٢٠ الفًا و٥٢٨ كيلوغرامًا ومساحة حجمها ٨٠ مترًا مكعبًا من حجر الغرانيت

وقد ابتدأ امر نقلها في ايام الملك شارل العاشر · فان العالم الشهير المسيو شامبوليون الذي حلّ اسرار اللغة الهيروغليفية سأل هذا الملك ان يزين باريز بمسلة من المسلات المصرية فبعث الملك شارل في الحال يستوهب محمد علي باشا امير مصر مسلة من مسلاته فوهبه الامير مسلة الاقصر التي تقدم ذكرها

﴿ الاقصر ﴾ ان الاقصر كلمة عربيـة وهي جمع قصر « اقصر » وقد سميت كذلك لكثرة الهياكل والآثار والقصور القديمة القائمة هناك · وهذه الاثار بقية من مدينة « ثيبة » الشهيرة التي كان يسميها القدماء « ثيبة ذات المائة باب » لكثرة غناها واتساعها وهي غير ثيبة اليونانية · واشهر ما في الاقصر هيكلها العظيم الذي يقصده السياح من كل اقطار العالم (انظر الرسم) وقد بناه الملك امنوفيس الثالث منذ اكثر من ٣٠ قرنًا اكرامًا للاله عمون · وجدرانه مغطاة كما ترى بالصور والكتابات الهيروغليفية المصرية في جملتها اسم الاسكندر المكدوني الذي زار هذا الهيكل عند افتتاحه مصر وقدم فيه ذبيحة للاله عمون « راجع ذلك في العدد التاسع الصفحة ٤٩٨ »

﴿ كيف نُقلت المسلة الى باريز ﴾ ولما صدر امر محمد علي باشا باعطاء فرنسا مسلة سيزوستريس عهدت الحكومة الفرنسوية الى المهندس ليباس امر نقلها الى باريز فبنى هذا المهندس سفينة خصوصية سماها « الاقصر » وجعلها طويلة ضيقة ثم قدم بها الى مصر

(١) انظر رسم سيزوستريس في الصفحة ٥٠٢ السنة الاولى وقد نصب هذا الملك مسلتين امام باب قصره منذ اكثر من ٣٠ قرنًا واحدة نقلت الى باريز والثانية باقية في مكانها في الاقصر



﴿ هيكل الاقصر المشهور ﴾

فالاقصر ومعه مامور من قبل محمد علي · وكانت الآثار المصرية مهملة في ذلك الزمان فكان الاهالي يبون « عششهم » وا كواخهم بينها اوقريباً منها · فاضطر المهندس ليباس ان يهدم بعض العشش التي كانت قائمة بازاء المسلة ويُرضي اصحابها بشيء قليل من المال · ثم

بدأ العمل فاستاجر اربعمائة نفس من الرجال والنساء والاولاد لبناء السطح المائل الذي يجب انزال المسلة عليه الى النهر · وفيما هم يعملون في هذا البناء فشت الكوليرا بينهم واماتت منهم ١٥ رجلاً في يوم واحد · فاستمر المهندس مع ذلك في العمل حتى اتمه في ٢٤ اكتوبر من عام ١٨٣٢

وعند بزوغ صباح هذا اليوم اناموا المسلة بجبال شدوها اليها فاجتمع لهذا العمل خلق كثير ثم حذفوها على السطح المائل الى شاطئ النيل ووضعوها على طوف من الخشب فحملها الطوف الى السفينة والسفينة اصعدتها اليها بقوة آلاتها الرافعة فوضعت فيها على طولها في المكان المخصص بها · ولكن مياه النيل كانت يومئذٍ منخفضة فانتظروا مياه النيل حتى ارتفعت في شهر يونيو فسافرت السفينة من الاقصر في ٢٨ منه متوسطة مجرى النيل والاهالي على جوانبه يغنون و يرقصون فدخلت البحر المتوسط في اول يناير من عام ١٨٣٣ ووصلت الى طولون في ١٠ مايو والى باريز في ٢٣ دسمبر فالقت مرساتها في نهر السين بازاء مجلس النواب · فتقرر نصب المسلة في ساحة « الكونكورد » في ٢٥ اكتوبر من عام ١٨٣٦

وكان الفرنسويون قد ثاروا في عام ١٨٣٠ على الملك شارل العاشر فخلعوه و بايعوا الملك لويس فيليب مكانه · فلما ازف ميعاد نصب المسلة قدم الملك والملكة الى ساحة الكونكورد وكان عدد المجتمعين فيها يومئذ اكثر من مائتي الف نفس · وكان المهندسون قد بنوا قاعدة للمسلة ونصبوا لها سواري وحبالاً واتوا بعشر آلات رافعة يعمل فيها اربعمائة جندي من جنود المدافع · وكانت الحبال المشدودة الى المسلة والآلات الرافعة تبلغ استدارتها ٩ سنتيمترات · فلما تم الاجتماع اشار المهندس ليباس اشارة فدوت اصوات الآلات الرافعة كالرعد ورفعت المسلة رأسها رويدًا رويدًا · ثم ارتفعت قاعدتها ووضعت على قاعدة البناء واستمر الرأس يرتفع حتى استوى منتصباً على القاعدة كالالف او كقامة الهيفاء

فخرج حينئذ من افواه الالوف المجتمعة هناك هتاف عظيم طبق السماء · وتقدم الملك من المهندس ليباس فاثنى على مهارته ومنحه وسام اللوجيون دونور من درجة الشفاليه وعينه مديرًا لمتحف الشؤون البحرية بعد ان وزع ثلاثة آلاف فرنك على مساعديه · وقد بلغت نفقات نقل المسلة الى باريز مليوني فرنك ونصف واستغرق نقلها من يوم الشروع فيه الى ساعة اتمامه نحو ست سنوات

❋ نقل مسلة كليوبتره الى لندن ❋ وقد نقل الانكليز الى لندن مسلة كليوبتره

التي كانت منصوبة في الاسكندرية ويسميها الافرنج « ابرة كليوبتره » ولكن الاقدار عاكستهم في نقلها . فلن مهندسهم صنع لها من الحديد والخشب صندوقاً كبيرًا على شكل سفينة سماه « كليوبتره » وجاء به الى الاسكندرية فوضع المسلة في داخله وجره الى البحر وكان ذلك في عام ١٨٧٧ . وعند نزول مسلة كليوبتره في البحر ضمن هذه السفينة الغريبة التي لم يسبق لها مثيل انشأوا فيها غرفة للبحارة وركبوا فيها سارية ثم نزل فيها ٥ من البحارة المالطيين وضابط انكليزي للسفر عليها . وفي ٢١ سبتمبر من عام ١٨٧٧ خرج هذا الصندوق من ثغر الاسكندرية تقطره باخرة انكليزية كبرى تُدعى « اولغا » فسارت به عشرين يوماً سيرًا بطيئاً منتظماً دون ان تحدث حادثة له او لها . ولكنهما ما وصلتا الى خليج بيسكاي (اسبانيا) حتى هبت زوبعة هائلة فقلبت سفينة كليوبتره وتعاظمت الامواج حتى اضطر ربان الباخرة اولغا ان يقطع السلك الذي كان يربط المسلة بسفينته فانفصلت المسلة وذهبت على متن الامواج هي والبحارة التي فيها

ثم سكنت الزوبعة قليلاً فانزل ربان الباخرة الثاني زورقاً وركبه مع ٥ من البحارة لاغاثة رفاقهم الذين في سفينة المسلة . فما كادوا ينزلون الى الزورق حتى داهمتهم موجة كالجبل الشامخ فابتلعهم البحر ولم يبن لهم اثر بعد ذلك فذهبوا ضحية شجاعتهم وشهامتهم

ولما ركدت الريح طلبت الباخرة اولغا سفينة المسلة لانقاذ رجالها فصعد هؤلاء اليها فسافرت الباخرة اولغا بهم وقد تركت المسلة وشأنها في عرض البحار راضية من الغنيمة بالاياب . الا انه لم ينقض بضعة ايام على وصولها الى انكلترا حتى نشرت الجرائد تلغرافاً من فيكو في اسبانيا وفحواه ان الباخرة « فيتزموريس » اسرت سفينة كليوباتره في شمالي فرول وهي ترجو من الحكومة الانكليزية ان تسرع في تسلم هذا الصندوق الذي لا محل له بين بضائع الشركة ... فارسلت الحكومة الانكليزية سفينة انكليزية لجر صندوق المسلة الى لندن فعادت به السفينة في ٢٠ يناير من عام ١٨٧٨ وفي ذلك الشهر نصب الانكليز هذه المسلة على احد جسور نهر التيمس

﴿ المسلات المصرية والتمدن القديم والحديث ﴾ وقد يظن القارئ لاول وهلة ان المتاخرين قد تفردوا بغصب مصر آثارها والحقيقة ان المتقدمين قد سبقوهم الى ذلك . فقد روى العالم سميث ان اشور بانيبال ملك اشور نقل مسلتين كبيرتين من مسلات الاقصر الى نينوى لما فتح مصر . ويقدرون عدد المسلات التي نقلها امبراطرة الرومان الى رومه ١٢ مسلة ولا يزال بعضها قائماً في رومة الى الآن . وقد كان في الاستانة ثلاث مسلات نُقلت

احداها الى البندقية في عام ١٥٤٦ ووجدت مسلة في ارل من اعمال فرنسا وهي بلدة مشهورة بالآثار القديمة ووجدت مسلة اخرى في فلورنسا وغيرها

ولا يسعنا في ختام هذا الفصل الا ان ننظر نظرة في تقلبات هذا الزمان٠ فان المصريين القدماء لما بنوا هذه الهياكل والمسلات العظيمة التي تدل على قدرتهم ومبلغ تمدنهم كانوا ينظرون الى اهالي البلاد التي يسمونها اليوم « اوروبا » بعين الاحتقار والازدراء وكانوا يسمونها « تمحو » وهي عندهم من كلمات الاستصغار والاستضعاف ولم يكونوا يعتبرونهم ارقى من الزنوج بكثير٠ اما اليوم فقد تبدلت الاحوال فصار السيد مسودًا والكبير صغيرًا ٠ وتلك الايام نداولها بين الناس

ربع قرن في الصحافة

(المقتطف)

بقلم احد الادباء

اتمت مجلة المقتطف وجريدة الاهرام منذ اشهر سنتها الخامسة والعشرين ودخلتا في السادسة والعشرين اي انه قد انقضى ربع قرن عليهما وهما في ميدان الصحافة ٠ ولعل المقتطف قد سبق جريدة الاهرام في الوجود لانه قد ورد في الصفحة ١٢٠ من الجزء الخامس لسنة المقتطف الاولى الفقرة الآتية

« جريدة الأهرام ٠ ان ما ظهر من همة منشئها سليم افندي تقلا في نشرها واتقانها يستحق مزيد الثناء ويستدعي اقبال ابناء اللغة العربية عليها فلا جرم ان مشروعه هذا يؤول لنشر المعارف وترقية الوطن فنساله تعالى ان يوفق احواله ويبلغه آماله في ماظهر وما سيظهر من اعماله المفيدة »

ولو كان الشرقيون قد تعودوا ان يوفوا كل عامل حقه لما سكتت جرائدهم عن تقريظ هاتين الجريدتين عند اتمامها السنة الخامسة والعشرين ولما قعد ادباؤهم عن الاحتفال بما يسمونه العيد الفضي لكل واحدة منهما بقطع النظر عن المبادىء والاراء٠ بل الانكى من ذلك ان بعضهم رأى من حسن الذوق ان يضع الذم في هذه المناسبة موضع التقريظ فيما يختص بالمقتطف صاحب الايادي البيضاء على المعارف في الشرق فبعث رسالة الى وكيله وفريبه في الاسكندرية لينشرها باسمه في أحدى جرائد اميركا العربية وكلها مدح لمجلته وذم للمقتطف

بحجة انه جافٌّ ناشف يسأم منه قارئه وسامعه فضلاً عن ذم باقي المجلات العربية . كأن صناعة الادب و يا للاسف تجارة توجب على الضعيف فيها ان يذم بضاعة صاحبه ترويجاً لبضاعته

فلما قرأت ذلك الفصل وشممتُ منه الرائحة الهلالية قلت في نفسي " لا تعدم الحسناء ذاماً " ثم اخذت القلم لاكتب فصلاً للجامعة اعيّد فيه لرصيفها المقتطف عيداً فضياً اعترافاً بفضله على المعارف ومكافأة له بالثناء لا بالذم على خدمته العلم في الشرق ربع قرن وزيادة

وقد رأيتُ خيرَ الامور في هذا الشان ان اسوح سياحة في المجلد الاول من المقتطف اظهاراً لما كان المقتطف عليه منذ ٢٥ عاماً وما صار اليوم اليه وتذكاراً لصدوره فاقول مبتدئاً بالجزء الاول

قال المقتطف منذ ٢٥ عاماً في السطر الاول من مقدمته وكانت النهضة العلمية في اولها يومئذٍ « لا ريب ان كل من يقف على هذا المثال يسره المشروع الذي باشرناه خدمة للوطن واجابة لطلب كثيرين من محبي التقدم ونشر الفوائد » « ولما راينا مناسبة الاحوال لنا و وجوب ذلك علينا بمقتضى حق الوطن عزمنا مباشرته على ما بنا من القصور مستعينين به تعالى ونلنا الرخصة السامية فيه من جانب نظارة المعارف الجليلة بهمة الفاضل عزتلو خليل افندي الخوري » « ولنا الامل الوطيد ان هذه " الجريدة " تقع عند الجمهور موقع القبول" " وقد التزمنا هنا ان نفرض كثيراً من مبادىء العلم والصناعة معروفاً فبنينا عليه لضيق المقام" « واذا تيسر نفوذ هذه الجريدة اقمنا لها مكاتبين مخصوصين وكبرنا حجمها وقصرنا مدة صدورها » وفي ختام المقدمة " وانا مقرون بعجزنا عن القيام بحق هذا المشروع ولنا الامل ان الواقف على كتاباتنا يسبل ذيل المعذرة على ما يرى فيها من الخلل فان العفو من شيم الكرام وسبحان من تفرد بالكمال »

وكان المقتطف يصدر يومئذ في ٢٤ صفحة في كل شهر وقيمة اشتراكه عشرة فرنكات في العام

وقد صدّر الجزء الاول بفصل في عمل الزجاج واردفه بفصول في وصف القمر والميكرسكوب وعلماء الهيئة عند العرب واللغة الحميرية والقلم المسند والصباغ الاحمر والمطر و بعض اخبار . وفي ذيل العدد هذان السطران « انا مديونون لجناب الدكتور فانديك بالشكلين المدرجين في القمر وللمطبعة الاميركانية باشكال الميكرسكوب ومن الآن فصاعداً نكتب تحت الشكل المستعار اسم المستعار منه »

هذه خلاصة الجزء الاول. وهو مطبوع على ورق وسط طبعاً وسطاً. اما الجزء الثاني فانه مصدر بهذين السطرين « نرجو من حضرة وكلائنا ان يستلموا قيمة الاشتراك من المشتركين حالما يسلمونهم هذا الجزء و يرسلوها الينا في الفرصة الاولى » وفي هذا الجزء مقدمة ثانية جاء فيها « ليس في المقتطف من المباحث السياسية التي أشغلت افكار الناس في هذه الايام ما يجعل له اهمية عند كثيرين فلذلك انذرنا البعض بعدم رواجه ولكن جاء الامر بخلاف ما كانوا ينذرونه وما ذلك الا لعظم اهميته لبلاد قد ذاقت يسيراً من العلم فاصبحت تطلب منه الزيادة. والصناعة والزراعة فيها كالعدم وهي تلتمس من يأتيها بهما. فنهنيء انفسنا بعد أن نهنيء وطننا العزيز بما صادفه مقتطفنا من الحظوة. وقد طلب الينا كثيرون ان نصدره غير مقصوص لان القص يعيق التجليد اذا شاؤا ان يضموه الى كتاب ففعلنا » ثم تلي المقدمة مقالة في اطباء اليونان والشرق للماسوف عليه العلامة الدكتور فان ديك الذي كان اول منشط ومساعد لهذه المجلة ثم فصول في شجر التوت والنظام الشمسي والحرارة وصقل الحرير والهواء وزجاج الصفائح والاعتناء بصحة الاطفال و بيان من المرصد السوري الفلكي. ثم بعض مسائل واخبار

وفي الصفحة الاخيرة من الجزء الثالث هذا الاعلان « انتهى طبع كتاب الظواهر الجوية ترجمة المعلم فارس نمر ب.ع من اللغة الانكليزية وهو كتاب صغير جداً للدكتور الياس لومس استاذ في مدرسة بيل »

اما الجزء الرابع ففي الصفحة ٩٤ منه هذان السطران « سالنا كثيرون عن معنى الحرفين ب.ع فنجيب انهما مقتطفان من بكلوريوس علوم رتبة من رتب المدرسة الكلية ومعنى بكلوريوس اصلاً حب الغار » وفي صفحته الاخيرة بيان لخسوف كان مقبلاً وتقريظ للجزء الاول من دائرة المعارف الذي اصدره يومئذ « جناب الفاضل المعلم بطرس البستاني »

وفي الجزء الخامس هذه الشذرة « عدد الذين يموتون على الارض سنوياً ٣٣٣٣٣٣٣٣ » ورسالة من مرج عيون عن الخسوف الجزئي الذي حدث في ٣ سبتمبر من ذلك العام قبل نصف الليل بقليل ومما جاء فيها ان المراسل استناداً الى ما قرأه في المقتطف اخبر رفاقه في احدى السهرات عن خسوف القمر في ٣ سبتمبر فلم يصدقوا وافضى الامر بينهم الى المراهنة. قال المراسل « وفي الليلة المعينة بينما نحن نتعاطى الكلام راينا نور القمر يزيد اكداداً فالتفتنا فاذا « الحوت قد ابتلع بعضه » فضجت القرية باجمعها واستيقظ من كان نائماً واطلق البعض بنادقهم. وما كنا نسمع بينهم الا من يقول « صحيح صدقوا. كيف ما نصدقهم بعد »

اما الجزء السادس ففيه رسالة من الاستانة بقلم جناب الياس افندي مطر احد طلبة المكتب السلطاني ومما جاء فيها « ان المقتطف استدعى سرور صاحب الدولة وزير المعارف العمومية الذي لا يفتر عن المكافأة عند انفكاك الفوائل الحاضرة » ثم اسهب المراسل في بيان اختراع كان حديثاً في ذلك الزمان وهو « التلغراف بلا شريط » كما كانوا يقولون يومئذٍ « وبلا سلك » كما يقولون اليوم · اما اسم المخترع الاول فهو الاستاذ بودبوز الفرنسوي على ما جاء في هذه الرسالة

وفي هذا الجزء ابتدأت المناظرة بين المقتطف وبعض رجال الدين بشان « دوران الارض » وقد جاء فيه في الصفحة ١٤١ « واما الذين طلبوا منا الرد على الامالي الفلكية التي صدرت في الجزء العشرين من الجنان لهذه السنة فنرجوهم ان يعفونا من ذلك وهل يُردُّ في علمٍ على من يجهله كل الجهل »

وفي الجزء الثامن رسالة في ان الارض ثابتة مؤسسة لا تدور وهي ردٌّ على المقتطف استند فيه كاتبه الى آيات من الكتاب المقدس مثل قول ارميا النبي « انه تعالى مؤسس المسكونة بحكمته » وايقاف يشوع بن نون الشمس وقول اشعيا النبي « الله باسط السموات ومؤسس الارض » وقول ايوب انه تعالى « يمد الشمال على الخلا ويعلق الارض على لاشيء »

فامسك المقتطف عند هذه العبارة في جزء تالٍ وقال « الا يظهر من قول ايوب عليه السلام ان الارض غير مؤسسة ولا اعمدة تحتها » فاذا لم تكن تحتها اعمدة فهي سابحة في الفضاء وهو راي علماء الهيئة

وفي الصفحة الاخيرة من هذا الجزء ان « الدكتور شبلي افندي شميل والدكتور داود افندي مشاقه نالا الرخصة التي تؤذن لهما بممارسة الطب في الممالك المحروسة »

واما الجزء العاشر ففي صدره مقاله « في العلوم الطبيعية والنصوص الشرعية » هذه مقدمتها « لما اطلع صاحب السعادة والاقبال حضرة رياض باشا الافخم وزير المعارف في بلاد مصر على الرسالة المدرجة في الجزء الثامن في ثبوت الارض قال لوكيلنا كليانتس افندي فيليبيذس ان هذا الرأي مغلوط وفاسد ديناً وعلماً ثم تكرم برسالة من قلم وكيل سعادته في نظارة المعارف العالم الشهير والامير الخطير سعادة عبد الله فكري بك في مقارنة بعض مباحث الهيئة بالوارد في النصوص الشرعية ولما اجلنا الطرف في رياضها الحسان راينا فيها ما يدهش الالباب من المنطق وحسن البيان فبادرنا الى اقتطاف بعض ثمارها »

وفي الصفحة ٢٣١ من هذا الجزء رسالة في الانتروبولوجيا مترجمة عن العالم هادج الاميركي

ومنتبحة بهذا السطر « الى جناب الاديبين منشئي جريدة المقتطف المحترمين » وفي آخر هـذا الجزء الكلام التالي « لقد سررنا بنجاح الخواجه يعقوب حلاج في عمل الشحيط فان شحيطه جيد الصفة رخيص الثمن فضلاً عن كونه عمل واحد من ابناء الوطن »

وجاء في مقدمة الجزء الحادي عشر « لما كان كل ابتداء عسرًا وكان التمام لا يبلغ في الامور الا تدريجاً فسنجتهد في اقتطاف كل ما يفيد الوطن وتعيين من يزيد ادارة المقتطف ضبطاً » وورد في الصفحة ٢٦٣ منه « يقال انه ظهر في هذه الاثناء نجم صغير ذو ذنب ولم يبدُ للعيان فالحمد لله انه لم يظهر ولو ظهر لكان له بين السذج هرج ومرج ولنسبوا اليه كل مصيبة تصيب البشر كما نسبوا الى الخسوف الماضي اخبارًا اختلقوها »

واما الجزء الثاني عشر وهو الاخير من السنة الاولى فانه مصدر بالاعلان التالي « قد سلمنا ادارة المقتطف لجناب الاديب شاهين افندي مكاريوس فنرجو من حضرات الوكلاء والمشتركين ان يسلموه قيمة الاشتراك ويبعثوا جميع الرسالات المختصة بالمقتطف باسمه الى المطبعة الاميركية في بيروت ولا يخفى انه بذلك تضبط الادارة غاية الضبط فنتفرغ لجمع المواد واجابة المسائل » وورد في باب الاخبار والاكتشافات والاختراعات عن تاريخ سوريا ما يلي « قد طالعنا غير مرة اعلان تاريخ سوريا لجناب الاديب جرجي افندي يني وقد بلغنا الان ان جنابه عزم على طبع التاريخ المذكور ونشره فعسى ان لا تحول موانع الاوقات دون ذلك المشروع المفيد » ثم يلي ذلك في الصفحة الاخيرة خاتمة السنة وفهرستها

هكذا كان المقتطف في دوره الاول . ثم انتقل الى مصر وارتقى مع كرور السنين الارتقاء الذي يعرفه قراؤه . وقد بقي محافظاً على مقامه العلمي فلم يلجأ الى التزويق والتنميق استمالة لبسطاء القراء شان الذين يعرفون مقام العلم والادب وينزهونهما عن ان يكونا سلعة للاتجار . فنحن نهنئه بهذه الخطة وباجتيازه ربع قرن وهو في خدمة الشرق ولانقول ما يبدو لنا من الملاحظات بشانه اولاً لان ذلك خارج عن موضوعنا اذ نحن الآن في مقام تقريظ لا في مقام انتقاد وثانياً لاني اخشى ان تسوءه ملاحظاتي . انما اكتفي بواحدة وهي هذه : ان حضرات اصحاب المقطم كتبوا منذ سنوات الى بعض اصدقائهم في اثناء مناظراتهم لبعض رصفائهم من اصحاب الجرائد فقالوا يثنون على المقطم : اننا بالمقطم قد اخرسنا «المؤيد» واغرقنا « النيل » وهدمنا « الاهرام » الخ ومادروا انهم بالمقطم لم يضروا الا المقتطف . فليت المقطم لم يكن او كان بغير الاسلوب الذي كان به ليكون المقتطف في مقامه الحقيقي

العودة من القطب الجنوبي

﴿ اكتشاف قارة جديدة ﴾

نشرنا في الجزء السابع مقالة عنوانها « العودة من القطب الشمالي » ذكرنا فيها تفاصيل سفر الدوق ابروزي ابن عم ملك ايطاليا الى هذا القطب وعودته منه فائزًا بعض الفوز . وقد رأينا ان نردف هذه الرحلة الشمالية بذكر طرف من الرحلة الجنوبية التي اتمها في العام الماضي الرحالة بورشكريفنك النروجي في القطب الجنوبي اتمامًا للفائدة فنقول باختصار

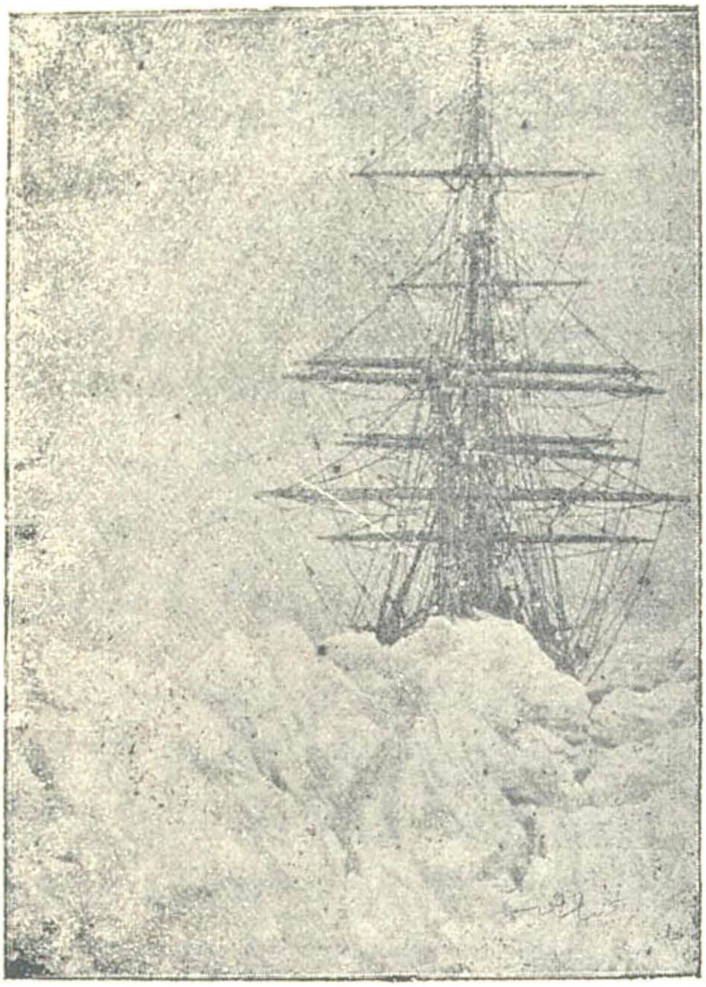
اتفقت المجلة الانكليزية « سترند مغازين » التي تُطبع في لندن مع هذا الرحالة على رحلة يرحلها على نفقتها لاكتشاف القطب الجنوبي فابتاع سفينة سماها « سوثرن كروس » واخذ معه عالمين لمراقبة حالة الجو في القطب الجنوبي وعالمين من علماء الحيوان للبحث في الحيوانات التي يصادفونها وطبيبًا وطباخًا وثلاثة عمال فالمجموع تسعة رجال ما عدا زعيمهم وسرب من الكلاب لجر المزالق على الثلوج . وفي اواخر عام ١٨٩٨ خرجت بهم السفينة من (هوبارتون) عاصمة تسمانيا في جنوبي اوستراليا قاصدة جزءًا من الجهات القطبية الجنوبية يُدعى . ارض فيكتوريا .

وكانت طريقهم الى هذه الارض محفوفة برؤُوس نائتة من الجبال عليها الثلوج وارتفاع كل راس منها اكثر من مائة متر وهو قائم فوق مضائق البحر يتهدد السفن بالسقوط عليها اما المسافة بين تسمانيا وارض فيكتوريا فكانت ٤٦٢٥ كيلو مترًا

فبعد انقضاء ١٢ يومًا على سفر السفينة تقلُّ رجال البعثة لقيتها الثلوج الاولى فاقامت السفينة تعاركها وتعالجها ستة اسابيع حتى كاد ركابها يقطعون الامل من النجاة . ولكنهم في ذات يوم وهم في اشد حالات الضيق رأوا الثلوج تتفرق من تلقاء نفسها وتذهب مع التيار فاغتنموا هذه الفرصة وساروا بالسفينة مخترقين قطع الثلج فبلغوا ارض فيكتوريا في ١٧ فبراير من عام ١٨٩٩

فنزل بورشكريفنك الى هذا البر الذي هو جزء من الاقطار القطبية الجنوبية وانشأ فيه له ولرجاله منزلاً يقضون فيه مدة سنة كاملة للوقوف في اثنائها على حالات الجو في اقطار القطب ودرس نباته وحيوانه والسعي للوصول اليه

واول عمل عمله قبل انشاء المنزل نصبه سارية في ارض فيكتوريا بين الثلوج التي



﴿ سوثرن كروس بين الثلوج ﴾

وهي السفينة التي حملت بعثة مجلة « السترند مغازين » الى القطب الجنوبي

تغطي الارض واحتفاله برفع الراية الانكليزية للمرة الاولى فيها · وعند اتمامه بناء المنزل عادت السفينة الى تسمانيا تاركة الرحالة ورجاله في اقطار القطب لتعود وتاخذهم منها بعد انقضاء سنة

فمنذ هذا الحين اخذ هؤلاء الشجعان يقاسون الاهوال القطبية · وكانوا يومئذٍ في شهر مارس وهو يقابل في برده هناك شهر اكتوبر في اوربا · ثم اخذ البرد يشتد يوماً فيوماً والرياح تعصف بقوة هائلة فتزعزع منزلهم وتلعب بقطع الثلج الكبيرة لعبها بهشيم الارض فتتطاير شظاياها الى الوجوه والعيون فتدميها وتعميها · وقد بلغ من قوة الزوابع هناك ان زوبعة حملت قارباً من البحر وقذفته بعيداً من الشاطىء كما يقذف الولد ليمونة · واصبح

رجال الحملة لا يستطيعون السير الا متمسكين بحبال ممدودة على الطريق . وكان احد العلماء الذين يرافقون الحملة سائرًا في ذات يوم نحو المكان الذي جعلوه مرصدًا لم وهو ممسك بالحبل فما شعر الا وقد حملته الريح كريشةٍ والقته في هوة بعيدة فبقي فيها داميًا مغشيًا عليه حتى وجده رفاقه بعد تفتيش كثير

على ان ذلك لم يكن شيئًا مذكورًا بازاء الاهوال التي كانت قادمة عليهم وهي اهوال ليل القطب الطويل . فانه من المعلوم ان الشمس تغرب في جهات القطب عدة شهور وتظلم الدنيا في شهر مايو كله فتكون كانها في ظلام دائم . فقاست الحملة في اثناء هذا الليل الطويل الذي لا يذكر بازائه ليل المسوع اهوالاً لا تُحتمل . فان الحرارة هبطت فيه الى ٤٣ درجة تحت الصفر وكانوا يضلون سبيلهم اذا خرجوا من المنزل قيد شبرين . وضلَّ يومًا كلب من كلابهم فبقي شهرين تائهًا على الثلوج وهو يتغذى من طيور بحرية كان يصطادها في طريقه

ثم ان بورشكريفنك اخذ يهتم بالسياحة في ارض فيكتوريا مستكشفًا ارجاءها فسار فيها اشواطًا كثيرة بعضها طويل وبعضها قصير فما كان يجد سوى ثلوج كالجبال تملأ البر والبحر . وكان في المسير على هذه الثلوج خطر شديد . وقد سقط احد رجاله في اثناء السير في هاوية انفتحت بين الثلج تحت قدميه دون ان يدري به رفاقه فلم ينجُ من الهاوية الثلجية الا بسكين صغيرة كانت في جيبه حفر بها درجات في جدران الهاوية وتسلقها ولولا السكين لمات مكانه . ولم يكتشف الرحالة في اثناء جولانه هذا سوى جزيرة صغيرة سماها « جزيرة الدوق دي يورك » وقد ثبت لديه ان ارض فيكتوريا ليست سوى سهول وحزون تغطيها الثلوج على مسافة ٤ الاف متر

ثم هون الله الامر وانقشعت ظلمات ذلك الشتاء الطويل وبدت طلائع الربيع . وانما يُعرف زمن الربيع هناك من وفود اسراب من الطيور البحرية المألوفة على ارض فيكتوريا . فاستأنس رجال الحملة بالنور وبلحم هذه الطيور فصادوا منها واكلوا متلذذين باللحم الطريء وان كان لحمها لا يؤكل . ومن الغريب ان هذه الطيور لا تفر من الانسان حين دنوه منها فهو يستطيع القبض عليها بيده وذلك لانها لم تذق من ظلم الانسان قبل هذه المرة ما ينفرها منه ويحملها على الابتعاد عنه

ولما اقبل عيد الميلاد احتفل به رجال البعثة احتفالاً عظيمًا وذلك لانهم كانوا مستريحين من البرد الشديد لان عيد الميلاد يقع في قلب الصيف هناك مع انه يقع في قلب

الشتاء عندنا

وفي ٢٨ يناير من ذلك العام عادت اليهم سفينتهم « سوثرن كروس » فركبوها فرحين وساروا بها متقدمين من القطب في الجهات المجهولة اتماماً لهذه الرحلة . فمروا بجبل ملبورن وجبل تيرور وشاهدوا في طريقهم بركاناً يقذف دخاناً اسود وسط تلك الثلوج البيضاء . فوقفت السفينة هناك ونزل منها رجال الحملة لفحص الارض فوجدوها كارض فيكتوريا قاحلة جدباء بيضاء من تراكم الثلج عليها . غير انهم وجدوا في بقعة صغيرة بقعة من الرمل فيها بعض النباتات فبادر العلماء الى قطفها لفحصها . و بينما هم مشتغلون بذلك واذا بصوت كصوت الرعد القاصف قد صم آذانهم فنظروا فابصروا الثلوج تتفرقع وتتدحرج من حولهم وتسقط في البحر كصخور حطها السيل من علٍ فطما البحر عليهم كطوفان عظيم وكاد يغرقهم كلهم لو لم يتعلقوا بالصخور . ولعل ذلك قد نشأ عن زلزال خفيف او عن انهيار الثلج انهياراً شديداً

ثم عاد بروشكرينك الى السفينة واستمر في طريقه . ولكنه ما سار مسافة حتى اعترض سفينته جدار عظيم من الثلج ليس له اول ولا آخر . فنزل على الثلج واخذ يبحث عن شق او مدخل ليدخل منه الى ذلك البر ولما وجد شقاً اخذ معه رفيقاً واحداً وسار في ارض مجهولة لم يطأها احد قبله . وما زال حتى بلغ الدرجة ٧٨ والدقيقة ٥٠ اي انه صار قريباً من نقطة القطب الجنوبي مسافة ١٢٣٩ كيلومتراً وهي درجة لم يبلغها احد قبله من السياح في هذا القطب

وقد قلنا ان رحلة الدوق ابروزي قد دلت على ان نقطة القطب الشمالي واقعة في بحر واسع مغطى بالثلج الدائم . اما رحلة بورشكرينك فقد دلت على ان نقطة القطب الجنوبي واقعة في اراضٍ واسعة لا حد لها . فهنالك اذاً قارة جديدة مجهولة لا يعرف الانسان حيوانها ونباتها واحوالها الجوية . ولكن الزمان وابناءه سيكشفونها كلها

وقد عاد هذا الرحالة سالماً الى بلاده ولم يفقد من رجاله في هذه الرحلة سوى العالم هنسن احد العالمين في الحيوان اللذين صحباه . وكانت وفاته من التعب والضعف عن احتمال هواء تلك الجهات

المرحوم عبده الحمولي

﴿ اكبر موسيقي عربي في الشرق ﴾

صدقت جريدة المؤيد الغراء في قولها انه « اذا كان المرحوم عبده افندي الحمولي اشهر مغنٍ عربي في هذا العصر واعلم الموسيقيين في الشرق بفنه فمن حق التاريخ على كتاب زمانه ان يدونوا سيرة حياته »

ولقد توفي في هذا العام الموسيقي (فردي) اشهر موسيقي ايطاليا فقامت له جرائد اوربا وقعدت ولبست عليه الجرائد الاجنبية التي تطبع في القطر المصري حلة السواد وخاضت جرائدنا ومجلاتنا في ترجمة الرجل وذكر مواهبه ونوادر اعماله · ولكن لما مات عبده الحمولي لم يكن شيء من ذلك فكأنه لم يمت اكبر موسيقيي العرب في هذا الزمان او كأننا لا نعتبر المواهب مواهب الا اذا كانت « افرنجية »

واجتنابا للوقوع في هذا الخطاء نقتطف ممن كتبوا ترجمة الفقيد شيئا منها سائلين الله له عظيم الغفران ولاهله جميل العزاء

ولد الفقيد حوالى سنة ١٨٤٤ في مدينة طنطا وكان ابوه من تجار البن وكان له اخ اكبر منه فوقع الشقاق بين ابيه والاخ الكبير فاخذه اخوه وسار هائما في تلك الانحاء فالتقيا وهما على آخر رمق من التعب والجوع برجل من طنطا يدعى المعلم شعبان وهو من ضاربي « القانون » وكان يعرف رخامة صوت الفقيد فعاد به و باخيه الى طنطا ثم جاء به الى مصر فاخذ الفقيد يشتغل معه بالغناء في قهوة كانت قائمة في غابة مكان حديقة الازبكية اليوم · فاقبل الناس على سماع صوت الفتى عبده فاتسع به رزق المعلم شعبان فازوجه ابنته ليربطه به · ولما ارتبط به عبده انقلب شعبان عليه فصار يسيء معاملته

وكان في مصر في ذلك الزمان مغنٍ طائر الصيت يدعى « المقدم » فلما سمع الحان الفقيد اعجب بها فجعله يطلق امراته وجذبه اليه فصار عبده يشتغل معه

وكان الغناء العربي في مصر في ذلك العصر مقصورا على بعض التواشيح والقدود التي نقلها الى مصر منذ اكثر من قرنين رجل حلبي يدعى شاكر افندي وقد ورث اهالي حلب هذه التواشيح والقدود عن اهل الدولة العربية في بغداد فكان المغنون في مصر قبل الفقيد يقتصرون على ان يلوكوا هذه التواشيح والقدود بافواههم دون تصرف فيها· فلما جاء عبده

عافت نفسه ذلك التقليد الاعمى لمواهبه الموسيقية الفطرية فاخذ يتصرف فيهما تصرف الموسيقي المبتكر

وما زال حتى اشتهر في مصر فالحقه المرحوم اسماعيل باشا بمعيته واصطحبه مرارًا الى الاستانة فسمع فيها الفقيد الالحان التركية ووعاها . ثم جلب اسماعيل باشا كثيرين من موسيقيي الافرنج فسمع عبده الموسيقى الافرنجية مرارًا ووعاها ايضاً . ثم نظر الى مصطلحات الانشاد في ذلك الزمان كانشاد الفقهاء « والعوالم » والضاربين بالدفوف ووعى ما كان فيها حسنًا ايضاً . وبعد ذلك هضم عبده جميع تلك الالحان المختلفة في دماغه المستعد استعدادًا فطريًا للابتكار الموسيقي واستخرج منها طريقة جديدة وهي طريقة الغناء كما هو اليوم . وقد اقتبس شيئًا كثيرًا من الالحان التركية اخصها الحان النهاوند والحجازكار والعجم التي كانت يومئذ مجهولة في الغناء العربي وهي الآن اطرب الالحان العربية

ولا حاجة الى ذكر ما لقيته طريقة عبده من مقاومة المغنين في بدء الامر فان المقاومة والتعنيف نصيب كل امر جديد يحدث في جميع الفنون

ولما ارتقى شان عبده بطريقته الجديدة واثرى من غنائه وملازمته اسماعيل باشا ترك الغناء وعمد الى التجارة ففتح محلاً لبيع الانسجة بمبلغ عشرين الف جنيه فما مضت سنتان الا وذهب هذا المال دينًا عند الناس فعاد الى صناعة الغناء مكرهًا لانه كان يكره الغناء بالاجرة ويتمنى دائمًا ان يغنيه الله عن ذلك . فاجاب الله سؤله واغناه بسعيه وبقوة مواهبه فانقطع عن الغناء بين الناس وعاش بينهم كريمًا محبوبًا

وكأن السهر الطويل الذي كان يسهره الفقيد في حياته وما وراء ذلك من الطرب ولوازمه قد نقض بناء صحته وافضى به الى داء الصدر فذهب الى الصعيد مستشفيًا فعاد منه بشيء من الصحة ولكن بلغه في عودته وفاة احد اصدقائه فحزن عليه وسار الى المنيا لحضور جنازته فقصر هذا السفر في اجله

وللفقيد نوادر كثيرة لا تحصى وكلها تدل على سخاء يده وكرم اخلاقه . وقد جاء وقت — وهو وقت اسماعيل — كانت فيه مصر كلها واقفة على شفتي عبده لما جدده فيها من الميل للموسيقى والولع بها

ومن نوادره ان اسماعيل باشا امر في ذات يوم ان يؤتى بالمغنية « المظ » المشهورة لتغني في حضرته . وكان عبده قد اقترن بها ومنعها من الغناء فجاء رسول اسماعيل يطلبها فرده عبده خائبًا فغضب اسماعيل وامر ان يؤتى بها بالقوة . وكان اسماعيل يومئذ في ابان

صولته وسطوته فثبت النقيد في موقفه امامه مع انه لم يكن احد يجسر على الوقوف في ذلك الموقف · ثم ذهب وسال صديقه المرحوم الشيخ علي الليثي ان يتوسط له لدى اسماعيل بالعدول عن طلب « المز » لان عبده يستنكر ان تغني زوجته بين الناس فتوسط له صديقه فعدل اسماعيل عن عزمه

وقد زار الفقيد الاستانة في سنة ٩٦ وتشرف بمقابلة جلالة السلطان وغنى على مسمع من جلالته فاعجب جلالة السلطان بغنائه ووصله وابلغه حسن رضائه ثم امره ان يلقي ما غناه في حضرته الى ضباط الموسيقى ليقيدوه بالعلامات الموسيقية (النوطة) فاطاع الفقيد ولكنه لم يتمكن من اتمام ذلك فلما عاد الى مصر اتمه وارسل العلامات المطلوبة الى الاستانة

وله في السخاء والمروءة والشهامة نوادر تضرب بها الامثال· منها ان رجلاً قصده لحاجة فمنحه في الحال ٥٠٠ جنيه · وجاءه رجل يقول انه فقير ولا مال له ليحتفل بزفاف ابنته فسار معه الفقيد مع تخته ولبث يغني حتى الصباح والجموع مزدحمة حوله · واتفق معه صاحب محل على الغناء ليلة في محله بمبلغ ٥٠ او ٦٠ جنيهاً على ما نظن ولما انقضت الليلة وانصرف السامعون جاءه صاحب المحل يشكو انه خسر في هذه الليلة فضحك الفقيد وتنازل له عن نصف المبلغ الذي تم عليه الاتفاق · وغير ذلك كثير

ولعل كل ما تقدم لا يدل دلالة تامة على حقيقة مقام الفقيد في فن الموسيقى في مصر ولذلك نردفه بالقصيدة التالية التي قالها في رثائه حضرة احمد بك شوقي شاعر الحضرة الخديوية ففيها احسن مدح وابلغ وصف للفقيد

ساجع الشرق طار عن اوكاره ... وتولى فن على آثاره
غاله نافذ الجناحين ماض ... لا تفر النسور من اظفاره
يطرق الفرخ في الغصون و يغشى ... (لبدًا) في الطويل من اعماره
سلب الفن ألحن الطير فيه ... والمتين المكين من اوتاره
كان مزماره فاصبح داو ... د كئيباً يبكي على مزماره
(عبده) بيد ان كل مغنٍّ ... عبده في افتنانه وابتكاره
معبد الدولتين في مصر اسحا ... ق (السميين) رب مصر وجاره
في بساط الرشيد يوماً ويوماً ... في حمى جعفر وضافي ستاره
صفو ملكيهما به في ازدياد ... ومن الصفو ان يلوذ بداره
يخرج المالكين من حشمة الملك ... وينسى الوقور ذكر وقاره

رب ليل اغار فيه القمارى واثار الحسان من اقماره
بصباً يذكر الرياض صباه وحجاز ارق من اسحاره
وغناء يدار لحناً فلحناً كحديث النديم او كعقاره
وانين لو انه من مشوق عرف السامعون موضع ناره
يتمنى اخو الهوى منه آهاً حين يلحى تكون من اعذاره
زفرات كانها بث قيس في معاني الهوى وفي اخباره
لا يجاريه في تفننه العو د ولا يشتكي اذا لم يجاره
يسمع الليل منه في الفجر ياليلُ فيصغي مستمهلاً في فراره
فجع الناس يوم مات الحمولي بدواء الهموم في عطاره
بابي الفن وابنه واخيه والقوي المكين في اسراره
والابيّ العفيف في حالتيه والجواد الكريم في ايثاره
يحبس اللحن عن غنيّ مدلٍّ ويذيق الفقير من مختاره
يا مغيثاً بصوته في الرزايا ومعيناً بماله في المكاره
ومحل الفقير بين ذويه ومعز اليتيم بين صغاره
وعماد الصديق ان مال دهر وشفاء المحزون من اقداره
لست بالراحل القليل فتنسى واحد الفن امة في دياره
غاية الدهر ان اتى او تولى ما لقيت الغداة من ادباره
نزل الجدفي الثرى وتساوى ما مضى من قيامه وعثاره
وانقضى الداء باليقين من الحا لين فالموت منتهى اقصاره
لهف قومي على مخايل عز زال عنا بروضه وهزاره
وعلى ذاهب من العيش وليت فولى الاخير من اوطاره
وزمان انت الرضى من بقايا ه وانت العزاء من آثاره
كان للناس ليله حين تشدو لحق اليوم ليله بنهاره

وقد وردتنا قصيدة ثانية في رثاء الفقيد من نظم حضرة الفاضل الياس افندي شحاده ذيب استاذ اللغة العربية في مدرسة افيروف اليونانية في الثغر فاقتطفنا منها ابياتاً شائقة وهي :

ان تغني خلت الملائك صاحت من اعالي القباب تتلو زبوراً

ظالما ظن سامعوه اتفاقاً انهم ثم يسمعون صفيرًا
من شحارير في الرياض تغنت او من الاسد في القفار زئيرًا
او من البان في الجنان حفيفاً او من الماء في السواقي خريرًا
كم برفع من بعد خفض وهمس بعد جهر تلا علينا سحورًا
فأنسنا بسلم من رقاه بات قبلاً يعقوب منها قريرًا
وصلت بالارض السما اذ اقلت من جنود العلاء رهطا وفورًا
فارتقينا تلك المراقي معهم بنفوس حامت عليها طيورًا
خافقات باجنح سابحات في بحار الخيال تفري غمورًا
واصبنا بعد الجهاد قرارًا اذ راينا من عالم الكشف نورًا
وطربنا لما رأينا عذارى ضاربات حول المرنم سورًا
ساطعات كأنهن شموس مشرقات تخالهن بدورًا
من رياض النعيم جئن بدارًا في هوى صوته هجرن الخدورًا
ويجسن الايقاع همن انشغافاً وارتشفن من اللحون خمورًا
ورقصن على اناشيد عبد بين ارباب الفن اضحى شهيرًا
ان في مصر « للمقاول » فضلاً اذ وعت من غناه جزءا يسيرًا (١)
غير ان الآذان اسعد منها حفظت من ذاك السماع الكثيرا
ولئن بان ذلك الصوت عنها فصداه اقام معها سميرًا
مثل قرطاس ناله الحرق لكن ما برحنا نرى عليه السطورًا
مات حقاً « عبده الحمولي » ولكن ذكره للاعقاب يبقى الدهورًا

ومن ظريف الرثاء الذي قيل فيه الموال الآتي لناظمه محمد افندي احمد المصري

فن الطرب انطرب لجلك عراق وحجاز ومصر ناحت وابكاك اليمن وحجاز
والترك والهند لو حزنم وناحوا جاز عليك يا مطرب الاصحاب في صباهم
لكن الهي دعا عبده ونحوه جاز

هذا ونختتم هذا الفصل بكلمة للمجلة المصرية الغراء وهي « لقد كان في مصر قبل انقضاء

---

(١) اشارة الى ان الفقيد شرع قبيل وفاته في تقييد الحانه في اسطوانات الفونوغراف طلباً للعيش لان هذا الذي كان يربح الجنيهات بالمئات ويهبها بالمئات قد توفي ولا مال له

هذه الاشهر الاخيرة مغنيان هما عبده وعثمان . فاليوم نحن ولا مهنيء في الفرح ولا معزٍ في الشجن الا ما كان من قبيل حكاية الصدى الذي يتردد حيناً بعد هتاف الهاتف » نقول ولقد كان هذا القول صحيحاً لو لم يبقَ بلبل المراسح الشيخ سلامه حجازي

آفات التمدن الحالي

الغنى والمضاربة في اميركا

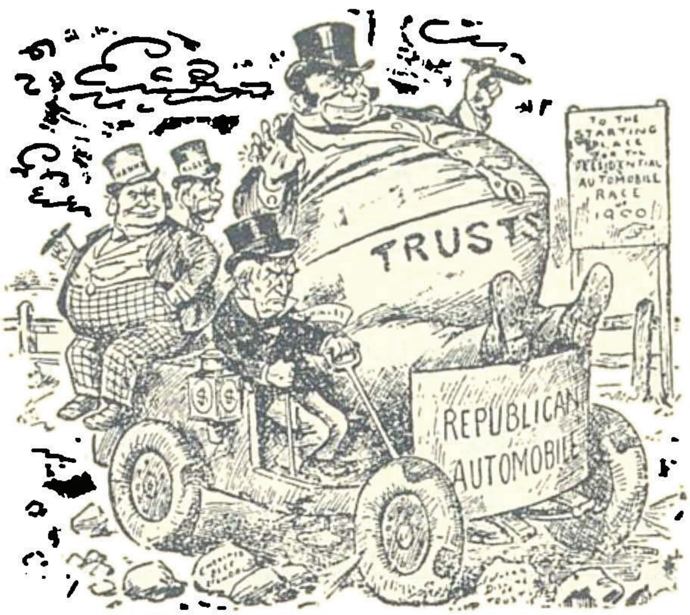
دوس القانون ضمن دائرة القانون . طريقة ذلك . الجنون في بورصة نيو يورك ولندن والبراز بين كبار الاغنياء . خراب الوف من البيوت لهذا السبب . سياسة المستر ماكنلي ومصوروه . حكم الفلسفة في المضاربة ينطبق على حكم المحكمة الاستئنافية المختلطة بالاسكندرية

للتمدن الحالي آفات كما له حسنات . ومن هذه الآفات تمكن بعض البشر من دوس القانون استناداً الى القانون وقتل حقوق الانسان استناداً الى مبداء حقوق الانسان

ومن هذا القبيل حالات الغنى الطائل في اميركا . فان انصار حرية الغنى يقولون ان مداخلة الحكومة في شؤون ارباب الاموال لتحديد غناهم ومراقبة اعمالهم امر يخالف مبدأ الملكية المقدس ويفضي الى الفوضى فضلاً عن خنقه بذور النشاط والجد في العالم وهو قول لا يخلو من صواب ولكن النتائج التي تبدو الآن في اميركا فيما يختص بالغنى الطائل توشك ان تكون للهيئة الاجتماعية خطراً اشد من خطر القيام على مبداء الملكية

وهذا الخطر هو خطر الاحتكار . فانه قد نشأت في تلك البلاد صناعة جديدة مدارها على تأليف شركات لاحتكار البضائع والسلع ومواد المعيشة . فشركة تحتكر الفولاذ وواحدة تحتكر السكر واخرى تحتكر البن ورابعة الملح وخامسة الثلج وهلم جرّاً . وهذا الاحتكار لا يستوجب اذناً من الحكومة ولا رضى من ارباب الصناعة ولا موافقة من الاهالي بل يتم بالرغم عنهم جميعاً على الطريقة الآتية

يخطر لاحد الاغنياء الاميركيين ان يحتكر البيره (الجعه) مثلاً فيخصص لذلك من ماله ثلاثمائة مليون فرنك او خمسمائة مليون وينشيء معامل للبيره واسعة ويمد منها خطوطاً حديدية الى البلاد التي سيصدر بضاعته اليها ثم يحمل البيره اليها ويأخذ ببيعها باثمان بخسة جداً . فلا ينقضي على ذلك بضعة شهور حتى تفلس المعامل التي تناظره وتقفل ابوابها



شركات الاحتكار في اميركا

المستر ماكنلي ورجال حكومته جالسون في مركبة الجمهورية يقودها الرئيس وبجانبه تمثال الاحتكار ببطن واسع لكثرة ما يأكل · وقد عنت جريدة «الجورنال» الاميركية بهذا الرسم ان الرئيس ماكنلي يحمي شركات الاحتكار

فحينئذ يرفع اسعار البيره لانه يصبح مالك السوق وحده وربما ضاعف الثمن فعوض في سنة ما خسره في سنوات· فمن خسر في هذه المسالة ومن ربح ؟ خسر اصحاب معامل البيره الذين خربت بيوتهم وعملتهم الذين جاعت نساؤهم واولادهم والاهالي الذين كانوا يبتاعون البيره بثمن بخس فصاروا يبتاعونها بثمن غالٍ · ولم يربح سوى شخص مفرد كان في غنى عن ربحه· هذه هي الان نتيجة حرية التجارة والغنى في البلاد الاميركية اي ان الغني صاحب الملايين صار قادرًا على دوس القانون ضمن دائرة القانون فيحتكر بماله الطائل مع ان الاحتكار محرم في قانون بلاده ويقتل مزاحميه في تجارته كما يقتل اللصوص أبناء الطريق

وقد تألفت الآن شركات عظيمة للاحتكار في اميركا على هذا الوجه واكبرها كلها شركة احتكار الفولاذ التي انشأها الغني الشهير المستر اندريو كارنيجي الذي بلغت ثروته مليار فرنك ونصفاً وهو يوزع الآن ذراتٍ منها على المكاتب العمومية في اميركا والمدارس الكبرى في اسكوتلنده مسقط راسه · وهذه الشركة رأس مالها سبعة مليارات فرنك وهي منقسمة الى ٣٣ شركة تحتكر الفولاذ في الولايات المتحدة كلها وعدد عملتها مليونا عامل يرئسهم المستر شارلس شويب الذي يقبض راتباً قدره ٥ ملايين فرنك في العام· واما ربح هذه الشركة في السنة فهو ٥٠٠ مليون فرنك

﴿ الجنون في بورصة نيويورك ولندن ﴾ ورغبة في اطلاع القارئ على حقيقة الضرر الذي يصيب الناس الان بسبب هذه الشركات نكتفي بذكر الحادث الكبير الذي احدثته في ٩ مايو في بورصتي نيويورك ولندن لا سيما وانه لم يذكره احد بالتفصيل بعد، وهذا بيانه ٠

لكبار اغنياء الاميركان عادة وهي احتكار اسهم السكك الحديدية للتمكن من الضغط على اداراتها والتأثير عليها بما ينطبق على مصلحتهم في نقل بضائع شركات الاحتكار التي تكون لهم ٠ ففي ذات يوم كانت اكثر اسهم شركة « اونيون باسيفيك » في قبضة المستر كولد الغني الشهير فجاءه المستر فندربلت صنوه في الثروة والغنى وتمكن من اخراج تلك الاسهم من قبضته ٠ فغضب لذلك كولد ونوى ان يثأر لنفسه

وكانت اكثر اسهم شركة سكة « باسيفيك نور » في قبضة المستر فندربلت ورفيقه المستر مورغان الشهير مثله ٠ فجاء المستر كولد الى بورصة نيوريوك في ٩ مايو مع رفيقه الغني ركفلر وفي نيتهما الاخذ بالثار واحتكار اسهم شركة سكة « باسيفيك نور » مهما كلفهما هذا الاحتكار

فعلم المستر فندربلت والمستر مورغان بعزمهما هذا فعقدا النية ايضاً على احتكار كل تلك الاسهم مهما كلفهما هذا الاحتكار اغاظة لهما

فلما درى بذلك رجال البورصة بادروا من كل صوب الى شراء اسهم « باسيفيك نور » وهم يعللون النفس بالسعادة لانهم اعتادوا هذا البراز بين الاغنياء ٠ فابتاعوا السهم الواحد منها عند افتتاح البورصة بمائة وسبعين ريالاً ٠ ولما كثر المشترون صعدت قيمته وما زالت تصعد بسرعة البرق الخاطف حتى بيع من الاسهم اكثر مما هو موجود ٠ فطلب المشترون التسليم فبلغ حينئذ ثمن السهم الواحد الف ومائة دولار اي انه صعد ٩٣٠ دولاراً في ساعة واحدة ٠

فحدث حينئذ امر هائل لم يسبق له مثيل في بورصات العالم ٠ فقدعم الاضطراب والصراخ وانقطع البيع والشراء الا نقداً اذ اعلنت ادارة لجنة البورصة انها لا تراقب العقود لكثرتها وسرعتها ٠ وصار من يملك ثلاثة اسهم من هذه الاسهم يبيعها فيصبح غنياً في لحظة واحدة ٠ وطيروا القطارات البخارية خصوصاً الى المدن القريبة من نيويورك والى شيكاغو لتأتي بما تعثر به فيها من هذه الاسهم ٠ وبحّت اصوات السماسرة من كثرة الصراخ فعجزوا عن النطق وصاروا يشيرون الى الثمن اشارة بالاصابع

وماذا اجرى بعد ذلك

جرى ان فريق كولد وفريق فندربلت بدا لهما ان يعدلا عن هذا الاحتكار لانهما وجداه صعباً فابطلا الشراء من هذه الاسهم. فحدث حينئذ ما لا تتصوره العقول ولا تقوى الاقلام على وصفه. فان السهم الواحد هبط كصخر حط من علٍ من ١١٠٠ ريال الى ٨٠٠ ريال ثم الى ٣٢٥ ريالاً. فساد الجنون في البورصة فهجمت النساء يبكين وينثرن شعورهن لانهن خسرن اموالهن وراح الرجال يدوس بعضهم بعضاً وكثيرون منهم يصرخون انهم عزموا على الانتحار. وسقطت في الحال ثلاثة بيوت مالية كبرى. وحدث ضرب ودوس وخصام بين الجماهير المجتمعة فاستدعي البوليس لتفريقهم. ولم تغرب شمس ذلك اليوم الاوقد بات الوف من رجال نيو يورك فقراء لا يكون شروى نقير مع انهم كانوا بالامس ممن لهم الخيل والمركبات. وقد سرى شيء من هذا الاضطراب الى بورصة لندن فان بعض رجالها عاموا على جراب رجال البورصة في نيو يورك فغرقوا معهم واصبحوا فقراء بعد الغنى. منهم شاب في الرابعة والعشرين جنَّ في اثناء البورصة فاخذ يقذف من نافذتها ما معه من الاسهم والاوراق المالية. وراح شاب ثانٍ يعدو بين الجماهير وهو يزئر زئير الاسود ويعرض للبيع بقيمة عشرين فرنكاً الورقة التي قيمتها ١٠٠ فرنك. فلا ريب انه قد جنَّ ايضاً

وفي اثناء ذلك كله اين ذهب اصحابنا الذين كانوا اصل هذا البلاء: كولد وفندربلت ومورغان وركفلر؟ وما كانوا يصنعون؟ — كانوا جالسين على مقعد في بورصة نيو يورك يضحكون من ذلك الاضطراب والجنون ويدخنون ويتحدثون بانه اذا عُرض عليهم سهم «الباسيفيك نور» بقيمة ١٥٠ ريالاً فانهم يبتاعونه ....

واين ذهبت تلك الملايين الطائلة التي خربت خسارتها بيوت الوف من الرجال والنساء؟ — ذهب اكثرها الى جيب فندربلت ومورغان الذين ربحا اكثر من مائتي مليون فرنك في ساعة واحدة

وكثيرون من السماسرة ربح الواحد منهم في ذلك اليوم خمسين الف فرنك اجرة له عن البيع والشراء

اما عدد ما بيع من اسهم «الباسفيك نور» في ذلك اليوم المشهود فقد بلغ ٣ ملايين و٢٦٢ الف سهم. وقد كان جناب المستر ماكنلي رئيس الولايات المتحدة يومئذٍ في كاليفورنيا فبعث يسال اذا كانت هذه الحوادث لا تؤثر على صناعة البلاد وحالتها

الاقتصادية فاجاب المستر مورغان وغيره ان صناعة الولايات المتحدة قائمة على اسس لا تتزعزع

ولكن هب ان هذه الحوادث تخرب البلاد كلها فان المستر ماكنلي عاجز عن مقاومة اصحاب الملايين لانه لم يُنتخب الا بسعيهم ونفوذهم ولانهم صاروا دولة في الدولة . ولذلك تصوره جرائد اميركا جالساً مع رجال حكومته في مركبة الجمهورية يقودها بنفسه وهو حامل عليها تمثال الاحتكار الذي صار ملازماً له ولسياسته لانها مبنية على قاعدة وضع الرسوم الجمركية والاستعمار (انظر الرسم في هذا الفصل)

هذه احدى آفات التمدن الحالي في هذا الزمان . ونحن لا نذمها لان صوتنا ضعيف لا يؤثر فيها ولكننا ننقل هنا صدى صوت قوي وهو صوت الفيلسوف جول سيمون الذي قال في كتابه «الواجبات» قولاً ينطبق عليها وعلى الحكم الذي اصدرته محكمة الاستئناف المختلطة في الاسكندرية بشان المضاربة وهو

«ان ما يربحه الاغنياء في البورصة من الارباح الفاحشة بلا تعب ولا نصب مبنيٌّ اكثره على غش الناس وخداعهم ليضاعفوا ثروتهم الطائلة بحركات مالية تستنزف اموال الامة وتخرب في يوم واحد مئات من العيال والبيوت التجارية . وليس بين الرسائط الشريفة المحللة ما يمكن ان يعطي الانسان مليوناً من الفرنكات الاَّ ان يكون هناك رأسمال عظيم يستعمله باستقامة واجتهاد او اختراع نافع يخترعه للعباد . ومن الغريب انه ما من احد يجهل ما انطوت عليه هذه العلق الهائلة التي تمتص دماء الشعوب وحياتهم . هؤلاء الذين يدعون الشرف والاستقامة لكونهم لا يخالفون نص القانون . ولكن مع معرفة الناس ذلك لا تجد بينهم من يطاوعه قلبه على رفض اليد التي يمدونها ومعاملتهم كما يستحقون نعني معاملة اللصوص والخداعين . ذلك لان الذهب كما قال فيه الشاعر اللاتيني جوفنال : طيب الرائحة حيثما كان ومن اينما خرج . فليهنأ اولئك السالبون بما سلبوا ولكن فلتعلم الهيئة الاجتماعية ان في تخفختهم وتركها معاقبتهم اهانة للفضيلة والعمل والاجتهاد»

فعسى ان يكون في هذا الفصل عبرة للشرقيين الذين يُقبلون على المضاربة وهم مغمضو العيون فان المضاربة قد تفاقم خطبها عندنا في هذه السنين

روايات الجامعة

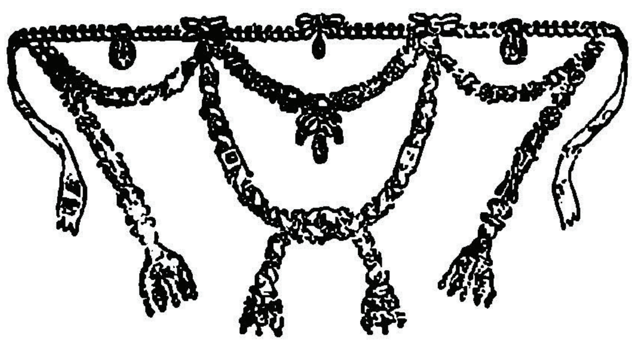
﴿ نهضة الاسد ووثبة الاسد ﴾

لما ذكرنا منذ شهور على ظهر الجامعة في احدى الاجزاء الماضية انه قد خطر لنا اختصار روايات نهضة الاسد ووثبة الاسد وردتنا رسائل عديدة من القراء يلحون علينا ان لا نختصر منها شيئًا لانهم يقرأونها قبل مواد المجلة نفسها. وقد تمنى كثيرون منهم ان ننشر منها في كل جزء ملزمتين لا ملزمة واحدة. وبعض القراء في الاسكندرية يسألنا باستغراب كيف لم نستخرج قبل الآن هذه الروايات الى اللغة العربية فانه لم يرَ كتابًا جامعًا مثلها للتاريخ والادب والسياسة والحب والفكاهة والحوادث الغريبة في سياق واحد. وكان بعض المشتركين في الثغر ولا يزال يأتي الادارة ويطلب ملزمة الروايات عند طبعها لعدم صبره عليها



﴿ الكردينال دي روهان ﴾
محب الملكة

فكل هذه الامور اقنعتنا بان لا نختصر هذه الرواية الجميلة مع طولها. وقد سرنا ذلك لاننا نجد من اللذة في كتابتها بقدر ما يجده



﴿ عقد الملكة ﴾

ثمنه مليون و٦٠٠ الف فرنك وقد اراد الكردينال ابتياعه للملكة استرضاء لها
راجع تنصل ذلك في الصفحة ٩١ في رواية وثبة الاسد في هذا الجزء

القراء من اللذة في مطالعتها · ومامن فرق بيننا سوى ان لذتنا مشوبة بتعب ولذتهم خالصة من كل شائبة

وبناء عليه فاننا قد عدلنا عن اختصار هذه الرواية · وهي ثلاثة اقسام القسم الاول سميناه «نهضة الاسد» وقد اردنا بهذه التسمية نهوض الشعب الفرنسوي في ثورته الكبرى الى طلب حقوقه وتذكير الحكام بواجباتهم · والقسم الثاني «وثبة الاسد» وقد اردنا بذلك وثوبه لاقتحام المظالم وكسر نير الاستعباد والاستبداد لما لم يجدِ اللين والمسالمة نفعاً · والقسم الثالث «فريسة الاسد» وموضوعه افتراس الثورة الملك لويس السادس عشر والملكة ماري انتوانت قرينته وجميع النبلاء والرجال الذين حضروها



الملكة ماري انتوانت

فهذه الرواية اذاً هي تاريخ مفصل لجميع حوادث الثورة الفرنسوية الكبرى من اولها الى آخرها · ففيها ذكر اسباب الثورة وحوادثها واحدة واحدة وتاريخ رجالها العظام ورسومهم وتفصيل اعمالهم وغرائب نبوءات كاليوسترو الخيالية وعجائب التنويم المغنطيسي الذي كان يومئذٍ في بدء امره وتاثير الجمعيات السرية في فرنسا في ذلك الزمان ولا سيما الجمعية الماسونية وعشق الملكة وسط مشاغلها السياسية ثم فوز الشعب ومحاكمة الملك واعدامه ثم اعدام الملكة وما تخلل ذلك من الاضطرابات السياسية · وهذا كله



مدموازل ديسيني

التي كانت تشبه الملكة والتي حسبها الكردينال اياها

ممزوج بحوادث غريبة وفكاهات في منتهى اللذة فيقرأ القارىء تاريخ الثورة الفرنسوية كلها وهو يحسب نفسه انه يقرأ قصة بسيطة

وبما ان هذا التاريخ لم يوضع باللغة العربية بعدُ فقد اقبل القراء على مطالعة نهضة الاسد ووثبة الاسد من كل صوب · وقد قال لنا بعضهم انه قرأ هذه الرواية مرتين وقد شرع في قراءتها للمرة الثالثة فلم نعجب من ذلك لاننا نحن حينما عثرنا على اجزائها الفرنسوية منذ بضعة اعوام تركنا كل مطالعة حتى اتممناها كلها وكثيرًا ما سهرنا فيها الى ما بعد الساعة الثالثة من منتصف الليل مع كراهتنا لمطالعة روايات غيرها

وقد أصدرنا منها الى الآن الجزء الاول والثاني من « نهضة الاسد » والجزء الاول من « وثبة الاسد » بقي الجزء الثاني من وثبة الاسد وجزء « فريسة الاسد » وهو الاخير وسيظهر هذان الجزءان في مجلد السنة القادمة · اما الاجزاء الثلاثة الصادرة الى الآن فانها تُطلب من الجامعة او من وكلائها في الجهات

﴿ قضية اكبر من قضية دريفوس نشأت الثورة الفرنسوية منها ﴾ ومن الصور والرسوم العديدة التي زينا بها هذه الرواية الرسوم التي وضعناها في هذا الفصل · وهي رسوم اصحاب القضية المعروفة « بقضية عقد الملكة » التي كانت من اعظم اسباب الثورة الفرنسوية · اطلب بيانها بالتفصيل في هذا الجزء الصفحة ٩١ من الرواية والصفحة ١١١ فان هذه الحادثة التاريخية من اعظم حوادث فرنسا وقد اشتغل بها العالم في ذلك الزمان اكثر مما اشتغل بحادثة دريفوس في الاعوام الاخيرة

ويحسن بهذه المناسبة ان نوجه انظار القراء ايضًا الى ما ورد عن الخطيب ميرابو في الصفحة ٨٣ و٩٢ من الرواية في هذا الجزء وما ورد عن روبسبير وبونابرت من الصفحة ٩٦ فصاعدًا فان ذلك يدل احسن دلالة على نسق هذه الرواية

السيد فضل باشا — ولد سنة ١٢٤٠ هـ في مالابار بالهند واشتهر بالعلم في الهند وبلاد العرب وهاجر الى مكة مسقط راس جده وفي سنة ١٢٦٩ جاء الى دار السعادة ثم عاد الى مكة وفي سنة ١٢٨٧ زار دار الخلافة مرة ثانية في عهد السلطان عبد العزيز ثم عاد الى مكة ومنها الى ظفار التي صار اميرًا عليها ثم جاء دار السعادة مرة ثالثة في عهد جلالة السلطان الحالي ولبث الى ان توفي في اواخر جمادى الثانية سنة ١٣١٨ وله مؤلفات كثيرة نافعة

(تقويم المؤيد)

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا ادرتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

خوف الغرب من الشرق

المدارس حاجتنا الكبرى

(تنبيه يجعل الصم يسمعون والعمي يبصرون)

كان الشرق يخاف الغرب فاصبح اليوم الغرب يخاف الشرق ايضاً

كان الشرق يخاف الغرب كما يخاف الاخ الضعيف اخاً مستبداً قوياً . واصبح الغرب يخاف الشرق كما يخاف الاخ المستبد القوي اخاً مقعداً كان قوياً ويخشى ان يسترد قوته

وخوف الغرب من الشرق انواع . فتارة يخشى الغرب الخطر العسكري وهو ان يقوم من اواسط آسيا تيمورلنك ثانٍ او جنكيز خان ثانٍ فيكتسح اوربا بملايين جرارة من الجنود الاسيويه . وهذا ما يسمونه « الخطر الاسيوي » وطوراً يخشى ان يقوم من قلب سلطنة الروس قيصر فاتح فيجند ملايينه ويصرع بها اوربا كما صرعها نابوليون الاول في بدء القرن التاسع عشر . وهذا ما يسمونه « الخطر الروسي » وآونة يخشى ان تهب ملايين الصينيين الى الاخذ بالثأر من الاوربيين فيهاجمون اوربا ويقتلونها كما قتل برابرة الشمال رومه وقضوا على سلطنتها . وهذا ما يسمونه « الخطر الاصفر او الخطر الصيني » . وتارة يخشى ما يسميه « العصبية الاسلامية » وهي ان يتحد مسلمو العالم بأسره على مقاومة اوربا ويستميلوا اليهم ملايين البشر الذين يعبدون برهما وبوذه في الهند والصين . وهو ما يسمونه « الخطر الثلاثي »

هذه هي الاخطار التي كان يخشاها الغرب الى هذا الاوان . وقد زيد عليها في هذين العامين خطر جديد يقول عنه بعض ساسة الغرب انه اقرب واعظم من الاخطار الخيالية

التي تقدمت الاشارة اليها

فقد صدر في الشهر الماضي كتاب جديد عنوانه « الخطر الاصفر » لمؤلفه المسيو « ادمون تاري » مدير مجلة « الاوربي الاقتصادي » وفي صدره مقدمة بقلم السيامي البارون دستورنل الذي كان من مندوبي فرنسا في مؤتمر السلم الذي اجتمع في لاهاي · وموضوع هذا الكتاب ينحصر في الاسطر التالية

« ان اوربا بحملتها على الصين تبحث عن حتفها بظلفها · فان الصين بعد هذه الحرب ستنفتح عيناها وتنهض لاقتباس التمدن الاوربي متخذة شعارها « الصين للصينيين » · ومتى بلغت من هذا التمدن مبلغه قلبت ظهر المجن للاوربيين اساتذتها وطردتهم من بلادها اي استغنت عنهم في كل شؤونها وقبضت بنفسها على زمامها · ثم توجه انظارها الى اليابان وتحالفها اتقاء لشر اوربا · فيرضى اليابانيون بمحالفتها و يرسلون اليها اساتذة يابانيين لتعليمها الصناعة وانشاء المعامل فيها · فيكون اليابانيون هم المعلمين والصينيون التلامذة · ومتى حدث ذلك صارت الصين قوة هائلة لا تقف في وجهها قوة · لانها تنشئ حينئذٍ معامل للسلاح وللصناعة · فبالسلاح تجند ملايين من رجالها و بالصناعة تخرب صناعات العالم كلها · ذلك ان الايدي العاملة في الصين تُعدُّ بالملايين · واجرة العامل الصيني في اليوم لا تبلغ ربع او خمس اجرة العامل الاوربي · فبهذه الوسيلة يستطيع الصينيون واليابانيون ان يجعلوا بضائعهم اقل ثمناً من البضائع الاوربية بعشر مرات و يرسلوها الى اوربا فيفسدوا صناعتها وتجارتها · ومتى فسدت صناعة اوربا وتجارتها اضطر اصحاب المعامل الى انقاص اجرة العمل فيأبى العملة ذلك و يعتصبوا اعتصابات متتابعة تفضي الى ثورات وفتن واهوال · فكأن الاوربيين الذين يبذلون جهدهم الآن لفتح الصين يسعون لخراب اوربا اقتصادياً وسياسياً · فليتركوا الصين مقفلة واذا قدروا على ابقائها في دائرة الجهل والخشونة فلا يمتنعوا عن ذلك حفظاً لمستقبل اوربا »

هذه خلاصة هذا الكتاب · وقد كان لهذا الكتاب دوي شديد في اكثر الاندية الاقتصادية في اوربا لانه نذير للاوربيين بالخراب ان لم يكن عاجلاً فآجلاً · فصدقه بعضهم وكذبه آخرون · اما الذين صدقوه فانهم قاموا يطلبون مع المؤلف ترك الصين وشأنها تمدنت او لم تتمدن وسحب الاموال والجنود والتجار والمهندسين منها · واما الذين كذبوه فقد بنوا كلامهم على حجج يجدر بنا ايرادها لان فيها عظة وعبرة لجميع الامم الشرقية

فقد قالوا ان الحرب الاوربية في الصين دلت اوربا على انه لا يكفي ان توضع اسلحة متقنة في ايدي الوف من الناس ليحوزوا اكليل النصر فان النصر في الحرب لا ينال فقط بالسلاح ولكن بالايدي التي تدير السلاح يعنون قوة قلوب الجنود وحسن القيادة . نعم ان الصين اذا لجأت الى الخدمة العسكرية الاجبارية تستطيع ان تجرد من شعبها ٣٠ مليون رجل ولكن اين المال الكافي لحشد هؤلاء الرجال ومن اين للصينيين البراعة في القيادة التي هي اهم شروط الانتصار فان هذا امر لا يناله الصينيون الا اذا اقتبسوا تمدننا بتمامه ولا شيء يدل على انهم يقدرون على ذلك بل انهم برهنوا بما صنعوه في العام الماضي على عكسه اي برهنوا على قلة ذكائهم وانحطاط عقولهم بظنهم انهم اذا ثاروا الوفاً من الصينيين على الاوربيين وذبحوا سفراءهم قدروا على التخلص منهم . فالخطر الصيني العسكري اذاً قد زال وحل محله الخطر الاقتصادي

ولكن اذا نظرنا الى هذا الخطر بامعان وتامل لم نجد له اثرًا ايضاً . ويكفي لاثبات ذلك ان نشبه الصين بالهند . فقد اثبت الاحصاء الاخير ان عدد سكان الهند ٣٠٠ مليون نسمة ومعلوم ان اجرة العمال فيها اقل منها في الصين وقد مات من سكانها في العامين الماضيين عدة ملايين جوعاً وهذا يثبت انهم كانوا يعملون باية اجرة كانت لو دعوا الى العمل للحصول على قبضة الارز التي تبقي لهم الحياة . ولا يخفى ان الهند في يد انكلترا وانكلترا هي اعظم قوة صناعية الآن . فلماذا لم يتخذ الانكليز قلة الاجرة في الهند وكثرة الايدي العاملة فيها ذريعة لافساد صنائع العالم بمزاحمة عظيمة كالمزاحمة التي يخشاها من الصين القائلون بالخطر الاصفر

السبب في ذلك ان المسألة الكبرى في صنع المصنوعات وانشاء المعامل ليست قلة الاجرة وكثرة العملة ولكن « المقدرة على العمل » « والرغبة فيه »

فانك اذا اخذت ثمانية عملة لا مقدرة لهم على العمل اي لا براعة ولا مهارة في يدهم لصنع ما تطلبه منهم وكانت اجرة كل واحد نصف فرنك ثم اخذت عاملاً واحداً قادرًا على العمل الذي تريده واجرته ٥ فرنكات هل تظن ان الثمانية يقدرون ان يعملوا عمل الواحد . كلا . وكذلك الصينيون والهنود بازاء اوربا . وان قيل انهم يتعلمون العمل اجبنا ان مهارة الاوربي في عمله انما هي ثمرة تمدنه قروناً طوالاً . وهذه اليابان قد تمدنت ومع ذلك فانها لم تقدر الى الآن على مناظرة اوربا الا في المصنوعات التي لا تستلزم مهارة يدوية في العمل بل يكون اكثر العمل فيها ميكانيكياً اي بواسطة الآلات البخارية

فالصينيون اذاً لا يقدرون ان يعملوا عمل الاوربيين ليناظروهم . بقي الامر الثاني وهو هل يرغبون في هذا العمل

اما الرغبة في العمل فانها تقتضي دافعاً اي سبباً . وما السبب الذي يدفع الصينيين الى صنع المصنوعات الكثيرة وتغريق اوربا بطوفانها . لا نرى الآن سبباً لذلك على افتراض مقدرتهم عليه . وانما يوجد السبب اذا تمدنت الصين وكثرت حاجاتها فترسل حينئذ بضائعها الى الخارج لتقايض عليها ببضائع اوربية . وحينئذٍ تعيد ما عملته اليابان . فان هذه الدولة كانت اجرة العمل فيها قليلة فلما انشأت اسطولها ونظمت جيشها واقامت المنافع العمومية في بلادها كثرت حاجات شعبها فارتفعت الاجور بحكم الطبع . وكلما ازدادت رسوخاً في التمدن ازدادت اجور عملتها ارتفاعاً . وقد تضاعفت اجور النساء في معامل الغزل اليابانية في عشر سنوات فقط . ومع ذلك فلم تبلغ قيمة صادرات اليابان الى اوربا سوى ٢٢ مليون فرنك في العام وهي تستورد منها ما قيمته ٣٨ مليوناً . فاذا نسجت الصين على هذا المنوال او ضاعفت هذا المقدار مائة مرة على هذه النسبة فاي خطر فيه لاوربا . بل قد يكون لطوفان البضائع الصينية فضل عظيم على اوربا وهو انقاص اثمان حاجيات الحياة وجعل المعيشة في العالم قليلة النفقات . فيومئذٍ لا يشكو العملة في اوربا من انقاص اجورهم لان المعيشة تصير هينة سهلة عليهم

ولكننا في الحقيقة نرى ان الصين عاجزة عن صنع العجيبة التي صنعتها اليابان . فان لغتها ستكون عثرة في سبيل ارتقائها لما فيها من الاضطراب واليبوسة وتعدد الحروف . وجنس الصينيين يختلف عن جنس اليابانيين ودينهم يختلف عن دينهم ايضاً فلا سبيل لتشبيه اولئك بهولاء . فكل ما يرجى ان يُصنع في الصين بعد الحركة الحاضرة هو مد السكك الحديدية في جميع اقطارها الشاسعة لتمهيد سبل التجارة للاوربيين واستخراج معادنها الواسعة وهذا العمل سيكون اوربياً ولا ينتفع احد به اكثر من الاوربيين . وهكذا تبقى الصين كما هي اليوم خزانة ثروة وغنى للاوربيين يغترفون منها ما شاؤا دون ان يكون لهم منها خوف او اذى

هذا ما يقوله السياسيون والكتاب الافرنج في هذا الموضوع . وهو قول غامض هل من يفسره

نعم وكأننا نرى تفسير ذلك في هذا الكلام الواضح الجلي : — « ان الصين سلطنة يسكنها اكثر من ٤٠٠ مليون شخص وفي ارضها معادن كثيرة فالاوربيون يسوقون

الصينيين الى المعادن التي في بلادهم ليستخرجوها لهم بالاجرة . وتلك الملايين العديدة تعمل ليلاً ونهارًا في المعادن والزراعة والوظائف والخدمة ليكسب الشخص الواحد منها ٢٠٠ او ٥٠٠ فرنك في عامه ومتى كسبها اتى بها الى التجار الاوربيين وابتاع بها منهم انسجة ليلبسها هو واولاده واثاثًا لمنزله وآلات ليشتغل بها وكماليات اخرى لا عدد لها . فكأن ملايين النفوس في الصين تشقُّ نفسها في العمل من اجل تجار الاوربيين وصناعهم وتسخَّر تسخيرًا لاستهلاك بضائعهم وردها اليهم ذهبًا وهاجًا . فمثلهم في ذلك مثل الخادم الاجير حتى في نفس بلادهم . وكل حياتهم تنحصر في هذه الكلمة الثقيلة : انهم يتعبون و يشتغلون و يعيشون لغيرهم . واذا اظهروا شيئًا من علامات الرجولية واهتموا بانفسهم نادوا عليهم في اوربا « بالخطر الاصفر » يوهمون انهم يريدون به « خطر الجنس الاصفر » والحقيقة انهم يخشون « خطر فرار الذهب الاصفر » من ايدي تجارهم وصناعهم ...

. . . .

هذا ما اردنا الاشارة اليه في هذا الموضوع وقد اطلنا الكلام لنوصل القراء الى هذه النتيجة وهذا السؤال : هل تحسبون ان هذه الحالة هي حالة الصين فقط ام هي حالة جميع الامم الشرقية

انظروا الى المصريين والعثمانيين الذين هم بعد اليابان ارقى الشرقيين الا ترونهم يشبهون الصينيين كل الشبه من هذا القبيل

لقد زرنا الغربيين في بلادهم فاقتبسنا اخلاقهم ولا نندم على ذلك لان الحسن منها اكثر من القبيح لمن يحسنون الاقتباس . وقرأنا رواياتهم فبثَّت في هيئتنا الاجتماعية الميل الى الخلاعة والاسراف . ووضعنا اولادنا في مدارسهم فعودوهم عاداتهم وعلومهم يوم لم يكن عندنا مدارس وان كان تعليمًا ناقصًا وغير منطبق على حاجاتهم . واتوا بلادنا بخيلهم وخولهم وحريرهم وديباجهم فراقنا ذلك وتشبهنا بهم

ولكن كل ذلك يستلزم مادة للاستهلاك اي بضاعة تسدُّ الحاجة التي انشأتها تلك العادات . فجاؤنا ببضائعهم كما جاؤونا بعاداتهم . من الطربوش وزره الى الحذاء ومسماره . فابتعناها ولبسناها وليس لنا منها غير الجسم الذي وضعناها عليه . وبقينا نشتغل ونعيش لنحصل مالاً ندفعه ثمنًا لبضائعهم

وفي اثناء ذلك ماذا تصنع مدارسنا . — انها تُخرج طلبة بارعين في استهلاك تلك البضائع قليلي المعرفة بطرق تحصيل اثمانها . وما هي علومها — هي الصرف والنحو والشعر واللغة

والادب وما جرى مجراها · فاذا كان يلذ لنا ان نبقى هكذا اجراء الى الابد نشتغل لغيرنا ونتعب لتغني الناس في اوربا فلنبقَ كما نحن ولا نهتم بالمدارس الصناعية والزراعية · هذا تنبيه جدير بان يجعل الصمَّ يسمعون والعميَ يبصرون

باب تدبير الصحة

ما يعلق بذيول السيدات في ساعة واحدة

(تنبيه للسيدات)

اجتمع في الشهر الماضي مؤتمر علمي في لندن وبحث بحثاً جدياً في مسالة طول ذيول السيدات · فاستدعى الدكتور كزا كراندي بضع سيدات في اثناء الجلسة والبسهن (فساطين) جديدة ذات ذيول طويلة ثم طلب منهن ان يسرن بها ساعة واحدة في شوارع لندن ويعدن اليه فتنزهت السيدات ساعة في شوارع لندن ثم عدن الى المؤتمر حيث كان ينتظرهن العلماء فتناول هؤلاء تلك (الفساطين) وفحصوا ذيولها بالميكرسكوب فوجدوها مبتلة بالوف وملايين من ميكروبات الانفلونزا والسل والحمى التيفوئيدية وغيرها · فقرر المؤتمر في الحال وجوب ان تمتنع النساء عن جعل ذيولهن طويلة · وقد قال الدكتور كازا كراندي ان المرأة التي تكنس ميكروبات الشوارع بذيلها الطويل ثم تعود الى بيتها وتنظف (فسطانها) وتنفضه في غرفة نومها او بازاء سرير طفلها فانها تكون كمن ينقل السل والحمى وما اشبهها الى بيتها واولادها · فلتحذر السيدات فان هذه المسالة باعظم مكان من الاهمية

ضرر لحم الحيوانات الخائفة والمتعبة

كثيراً ما يأكل الانسان من لحم ثم يحس بمغص او اعراض كاعراض التسمم فعلى الغالب يكون ذلك ناشئاً عن اللحم نفسه وذلك ان الحيوان اذا خاف قبل الذبح او اذا كان تعباً جداً من مطاردة الصياد له فان جسمه يفرز مادة كيماوية يكون لها خواص السم احياناً وقد استشهد لبيك على ذلك بشاة وحشية وقعت في الاشراك وبقيت هنيهة تختبط فيها وعليها

لوائح الذعر الشديد فلما اكل صيادوها من لحمها ظهرت اعراض التسمم فيهم جميعاً ٠ فالواجب اذن ان تكون الحيوانات مستريحة قبل ذبحها وان لا يجهلها الجزار تخاف ساعة الذبح اي انه يجب الرفق بها عند ذبحها ما دام لا يمكن ابطال هذا الذبح النظيع

طرد الفأر والجرذ

اكتشف احد الزراع الانكليز ان الفئران والجرذ تنفرُ من رائحة النعنع فقد نثر حول خزائنه بعض اوراق من هذا النبات فما انقضت بضع اسابيع حتى لم يبقَ فأر في منزله وقد يُستغنى عن النعنع الاخضر بروح النعنع وهو يطلب من الصيدليات

فائدة للصغار قبل النوم

قبل ان ينام الاولاد الصغار يحسن ان تناولي منديلاً وتجعليهم ينفضون به كل ما في انوفهم من الفضول فان ذلك يُخرج من انوفهم ما يتصل بها من الميكروبات مع الغبار والهباء فلا تنزل الى رئاتهم في اثناء النوم ٠ وفضلاً عن ذلك فان تنظيف الانف يسهل التنفس للولد اثناء نومه ومتى كان التنفس سهلاً لم يفتح الولد فاه اثناء النوم ليتنفس منه فاذا بقي في انفه شيء من الجراثيم تعذر عليها حينئذ النزول الى صدره لان الباب يكون مقفلاً

ضرر جديد للتدخين وفائدة للسعوط

قال الدكتور غومرول ان للتدخين ضرراً غير ضرر النيكوتين (المادة المخدرة السامة التي في التبغ) ٠ وهذا الضرر الجديد هو استنشاق المدخن ما في دخان التبغ من اوكسيد الكربون و بلوغ هذا الاوكسيد حين استنشاقه الدخان جميع اعماق صدر الانسان ٠ ولا يخفى ان هذا الاوكسيد هو من اشد اسباب مرض الانيميا (فقر الدم) وامراض الدماغ العصبية

و يقول هذا الطبيب ايضاً ان المتقدمين كانوا يستنشقون مسحوق التبغ اكثر مما يدخنونه فكان لهم في ذلك فائدة كبرى وهي ان مسحوق التبغ يقتل الميكروبات الكثيرة التي تعشش في تجاويف الانف فتمنعها من الوصول الى الصدر واحداث الضرر فيه ٠ ولذلك فهو يحلل السعوط و يحرم التدخين

لاجل جعل الاظفار وردية اللون

اذا كانت اظافرك غير جميلة فامزجي ١٠ غرامات من الاسيد سولفريك و٥ غرامات من صبغة المير و١٢٥ غراماً من الماء المقطر · ثم ادهني اظافرك في كل صباح ومساء بشيء من هذا المزيج وادلكيها عند الظهر دلكاً بقطعة نسيج ناعم فلا يمر اسبوعان حتى تنعم ويصير لونها وردياً

باب الاخبار العلمية

❋ مضار التلفون ومنافعه ❋ اذا كان للتلفون منافع فله مضار ايضاً ولا سيما في القهاوي والاماكن العمومية حيث يكثر المتكلمون به فتنتقل منهم الى الاسطوانة التي تقتبل الصوت والآلة التي يقبضها المتكلم ليضعها على اذنه جراثيم امراض مختلفة · ولذلك يضعون في اوربا بازاء التلفون قطعة من النسيج مبلولة بمواد تقتل الجراثيم لمسح الآلتين المذكورتين بهما بعد كلام كل متكلم · على انه متى عم استعمال التلفون الناطق جهراً اي المتكلم كلاماً يُسمع من غير وضع الاذن عليه فان هذا الضرر يزول لا محالة

وقد ساعد التلفون اعظم مساعدة في تقريب المسافات وتسهيل الاشغال ولكنه مع ذلك لايزال غالي الثمن والمرجح ان هذا التسهيل لا يبلغ حد التمام والكمال الا على يد التلغراف بلا سلك · وقد تفنن المخترعون بالتلفون فجعلوا منه آلة تجهر بصوت كصراخ الصارخ مع ان المتكلم على مسافة بعيدة · واخترع الكابتن شارلوى تلفوناً عسكرياً ينتقل في الجبال والاودية ولا مركز له الا ظهر جندي · وقد تصرف مربو المواشي في اوستراليا بالاسلاك الحديدية الممتدة حول الحقول والاراضي لصيانتها فاقاموا بجانبها آلات صغيرة لتوليد الكهربائية واتخذوا تلك الخطوط موصلاً بينها فاصبحوا يستطيعون مخاطبة الرعاة بهذه الطريقة على ابعاد مختلفة · وقد اخترع بعضهم الاهانة او السرقة بالتلفون وبعضهم ابتكر الزواج بواسطته · ولكن احسن من ذلك اتخاذ التلفون منبهاً · وذلك بان يتفق صاحب البيت مع ادارة الشركة ان تنبهه في الساعة السادسة او السابعة من صباح كل يوم فلا يجيء ميعاد التنبيه حتى ياخذ جرس التلفون بالقرع ولا يقف الا متى اجاب صاحب البيت انه قد انتبه

﴿بلاد مريم المجدلية﴾ سافرت مدام متيلد سيراو الكاتبة الايطالية الى فلسطين لزيارة مجدلة بلاد مريم المجدلية وهي الخاطئة التي ورد ذكرها في الانجيل فوجدت ان ذكرها ما زال منتشراً في بلادها وقد دلها بعض السكان على بقايا قصر يقولون انها كانت تقيم فيه . اما مجدلة نفسها فلم تعد سوى قرية صغيرة يسكنها صيادو السمك وليس فيها من دليل على ما كان فيها من الخصب الماضي سوى ارض صغيرة مغروسة نخيلاً . وبجانب مجدلة بحيرة طبرية وقد كان حول هذه البحيرة في الزمن القديم خمس مدن كبيرة وهي كفر ناحوم وبيت صيدا ودلمانوثا وكور زين ومجدله . وكلها الآن خراب يباب لا تكاد آثارها تدل عليها . وقد ورد عنها في الانجيل منذ القديم ما نصه :

« حينئذٍ ابتدأ (يسوع) يوبخ المدن التي صنعت فيها اكثر قواته لانها لم تتب . ويل لك يا كورزين ويل لكِ يا بيت صيدا . لانه لو صنعت في صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً في المسوح والرماد ولكن اقول لكم ان صور وصيداء تكون لهما حالة اكثر احتمالاً يوم الدين مما لكما . وانتِ يا كفر ناحوم المرتفعة الى السماء ستهبطين الى الهاوية . لانه لو صنعت في سدوم القوات المصنوعة فيكِ لبقيت الى اليوم ولكن اقول لكم ان ارض سدوم تكون لها حالة اكثر احتمالاً يوم الدين مما لك »

﴿فتاة يخرج من جسمها ابر﴾ من غرائب الامور وجود فتاة في سان جرمان انلاي في فرنسا تخرج الابر من جسمها . وذلك انها تشعر بحكة في مكان في جسمها فتنظر اليه فتجد ابرة خارجة منه فتذهب الى الصيدلي فيخرجها منها . وهي لا تشعر بالم لا حين الحك ولا حين اخراج الابرة . وقد اخرج لها الصيدلي الى الآن نحو ٨٠ ابرة ٢٠ من ظاهر كفها و١٢ من عنقها و٤٠ من ذراعها اليسرى و٦ من عينها وواحدة من ظهرها و٢ من بطنها و٢ اخريين من صدرها في الجانب الايسر . وكلها تظهر من الجانب المخروم الا التي ظهرت في اليد فانها ظهرت افقية . وتدعى هذه الفتاة جوليين لاندر بو وهي في السادسة عشرة من عمرها . واما سبب خروج هذه الابر من جسمها فهو انها راهنت منذ خمس سنوات احدى رفيقاتها على انها تبتلع ورقة ابر ثم ابتلعتها فدخلت هذه الابر الى دمها وانتشرت مع الدم في جسمها . ولا خطر عليها في ذلك الا اذا اعترضت احدى الابر الشرايين افقياً او ان تتجه واحدة منها الى عضو رئيس كالقلب او الرئة او ان تخترق المعى فهناك المصيبة الكبرى

﴿كبار العقول والتاثر﴾ ما اكتشف باستور داء الكلب وهو اكتشافه العظيم حتى

وصل الى حالة من التأثر اشد من حالات النزق · وهذه الحالة تصيب كثيرين من الرجال العظام الذين يكتشفون الامور العظام ويصرفون عقولهم اليها دون سواها · ولذلك قال الاستاذ لومبروزو الايطالي الشهير ان في كبار العقول شيئاً من الجنون · وقد خالفه بعضهم ونفى هذه التهمة عن اصحاب العقول

﴿مجموع المستخرج من الفحم الحجري في العالم﴾ بلغ المستخرج في سنة ١٨٩٩ من الفحم الحجري في العالم ٢١٢ مليون طن في انكلترا و١٠١ ملايين طن في المانيا و٨٢ مليون طن في باقي اوربا و١٢٨ مليون طن في الولايات المتحدة و٤ ملايين في كندا و٤ ملايين وربعاً في الهند و٦ ملايين وربعاً في اوستراليا و٦ ملايين في اليابان ومليوناً ونصفاً في الترانسفال واورانج فالمجموع نحو ٦٤٤ مليون طن · وستسود الولايات المتحدة سائر البلاد في تصدير الفحم الحجري لان البلاد الانكليزية قد اصبحت مناجمها بعيدة الغور لكثرة ما استخرج منها ولذلك تزداد الاجرة فيها · ويقال ان الفحم الاميركي اصلب مادة واكثر توليداً للحرارة من الفحم الانكليزي

﴿ابتلاع الارض قرية﴾ روت جريدة الطبيعة الفرنسوية ان الارض تزحزحت في ٢١ مارس الماضي في جبال الابنين الايطالية قرب قرية تُدعى « فيكليو » فما شعر سكانها الا وقريتهم اخذت تسير من سفح الجبل نحو الوادي فبادروا الى نسائهم واولادهم واموالهم فنقلوها منها وبعد يومين غابت القرية عن النظر في جوف الارض ولم يبقَ مكانها سوى مياهٍ اجتمعت هناك من فيضان نهر قريب

﴿الغذاء في المستقبل﴾ يقول المسيو ليانفلد ان غذاء الانسان في المستقبل سيكون علبة صغيرة كيماوية فيها شيءٌ قليل من مركب كيماوي مؤلف من خواص مواد الغذاء ويكون ثمن هذه العلبة مساوياً لثمن علبة الشيكولاته (غرشين) ويكفي غذاؤها الرجل الواحد يوماً كاملاً (٢٤ ساعة) ...

وقد قال المسيو برتلو الكيماوي الفرنسوي الشهير ان المسالة الاجتماعية الحاضرة اي مسالة الاشتراكيين والعملة انما هي مسالة كيماوية فمتى حلت الكيمياء مسالة الغذاء على هذا الوجه صارت المعيشة رخيصة جداً وبالتالي صار الانسان سعيداً اذ يخف او يزول زحام البشر ونزاعهم وتبطل اكثر المظالم والشرور والجرائم الموجودة الآن · حقق الله احلامهم

باب التقريظ والانتقاد

﴿ قاسم بك امين في اميركا ﴾ اهتمت الجرائد العربية التي تُطبع في اميركا « بكتابي تحرير المرأة والمرأة الجديدة » كما اهتمت بهما جرائد مصر والهند والشام . وقد قالت رصيفتنا جريدة المناظر الغراء في احد اعدادها الاخيرة بعد نقلها راي المقتطف الذي شبه جناب قاسم بك امين بلوثيرس وراي الجامعة التي شبهته بديكارت ما نصه

« ذانهما الرجلان العظيمان اللذان صار قاسم بك امين في مصفهما لانه لفظ كلمة لم يلفظها قبله احد . والجرأة في الجهر بالحقائق من نتائج العلم الصحيح . فليسلم محرر المرأة وليسلم العلم الصحيح الذي كبر قلبه وساعد الارتقاء في الشرق على هذه الخطوة الكبيرة »

وقالت في مكان آخر بعد اشارتها الى كتاب صاحب العطوفة مصطفى باشا فهمي رئيس النظار وابيات حضرة محمد بك حافظ التي نشرناها في الجزء الماضي هذه الكلمات التي تقوم مقام مقالة

« حقيق ان اكثر اخواننا المسلمين اكثروا ويكثرون من معارضة قاسم بك امين ولكن اذا كان في الجهة الناصرة مثل عطوفتلو مصطفى باشا فهمي ومثل صاحب المنار ومثل صاحب الابيات فلا يطول ان تصير الاكثرية في هذه الجهة حقق الله آمال المصلحين »

وقد بلغنا ايضاً ان بعض الجرائد الاميركية قد نقلت راي صاحب الكتابين واستحسنته جداً

﴿ تقويم المؤيد ﴾ من الكتب التي لا يجب ان تخلو منها مكتبة كتاب تقويم المؤيد الذي يصدره في كل عام حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود المحرر في جريدة المؤيد وقد قلنا « يصدره » وكان يجب ان نقول « يؤلفه » لان هذا الكتاب من اجزل الكتب التي تؤلف الآن نفعاً ففيه فصول في علم الفلك وتاريخ مصر قديمه وحديثه واقسام الممالك وجوغرافيتها وتراجم ملوك اوربا ورسومهم ونوادرهم وتراجم الوفيات من الملوك والعلماء ورجال السياسة في اثناء العام وجداول مواعيد السكة الحديدية المصرية وتعريفتها واخبار عن البوسطة والتلغراف وتعريفة المركبات والمكاييل والموازين في جميع الامم والاكتشافات والاختراعات والطبيعيات والفكاهات وآداب المعاشرة والسلوك عند الشرقيين والغربيين

وفوائد في تدبير المنزل واختيار الخدم وفوائد طبية وتاريخ حرب الصين وحرب الترانسفال وبيان عن احوال مصر في العام الماضي وغيرها من الفوائد والمعارف التي يجب تعميمها بين افراد الشعب بطريقة بسيطة قريبة المناولة كهذه الطريقة والتي صار بها هذا التقويم بمثابة انسيكلوبيذية صغيرة توضع في الجيب · فنثني على همة مؤلفه ونحث جميع القراء على اقتنائه وهو يطلب من ادارة جريدة المؤيد في القاهرة

﴿ رجال السيف ﴾ اهدتنا ادارة جريدة الرقيب الغراء نسخة من رواية عنوانها « رجال السيف » معربة بقلم جناب الذكي البارع زاكي افندي مابرو وهي من تاليف الكاتب الفرنسوي بونسون دي ترايل · وهذه الرواية حلقة من سلسلة روايات في غاية الطلاوة والفكاهة وهي معربة باسلوب رفيق فنحث محبي الروايات على مطالعتها · وهي تطلب من المكتبة الخديوية في الثغر وثمنها ستة غروش صاغ

﴿ ثمرة الغواية ﴾ هي رواية تمثيلية ذات خمسة فصول لمؤلفها جناب احمد افندي صادق وهي تطلب من حضرة المؤلف في الثغر وثمنها ١٠ غروش صاغ

﴿ مجلة المجلات العربية ﴾ انشأ حضرة الفاضل محمود افندي حسيب مجلة علمية ادبية سياسية عنوانها « مجلة المجلات العربية » وهي تصدر مرة في الشهر وقيمة الاشتراك فيها ٧٠ غرشاً في القطر و٢٥ فرنكاً في الخارج فنرحب برصيفتنا الجديدة وندعو لها بما هي اهل له من النجاح

﴿ المنتحل ﴾ اعلن حضرة الفاضل الشيخ احمد ابو علي امين المكتبة البلدية في الاسكندرية انه شرع في طبع كتاب « المنتحل » تاليف الامام ابي منصور الثعالبي الذي عاش بين سنة ٣٥٠ و٤٢٩ هجرية وموضوع هذا الكتاب ابحاث في الكتابة والبلاغة ومكارم الاخلاق والمديح والاستعطاف والهجاء وشكوى الزمان والامثال والاداب والسلطانيات وما يليق بها والعيادة وما جرى مجراها · وقد جعل قيمة الاشتراك في النسخة الواحدة ١٥ غرشاً صاغاً وهي قيمة زهيدة جداً بازاء حجم الكتاب الذي سيكون ٥٠٠ صفحة على الاقل · وفي شهرة مؤلف الكتاب ما يغني عن الحث على اقتنائه فنشكر حضرة ناشره لهذه الخدمة الادبية

❊ بشائر السلام ❊ هي مجلة دينية تبشيرية لصاحبها جناب نقولا افندي روفائيل وقيمة الاشتراك فيها ١٥ غرشاً في مصر و٢٠ في الخارج

❊ الثريا ❊ عادت مجلة الثريا الغراء الى الظهور بعد احتجابها الوقتي وهي تصدر مرتين في الشهر باداره حضرة موسى افندي روديتي فنثني على همة منشئها البارع ادوار افندي جدي ونرجو له النجاح

❊ شجرة الدر ❊ مجلة نسائية ادبية فكاهية لمنشئتها حضرة الفاضلة السيدة سعدية سعد الدين وهي تصدر مرة في الشهر باللغتين التركية والعربية وقيمة الاشتراك فيها ٦٠ غرشاً في القطر و٢٠ فرنكاً في الخارج فندعو لرصيفتنا الجديدة بالنجاح والانتشار

❊ المرأة في الاسلام ❊ اصدر حضرة الاديب الفاضل ابرهيم بك رمزي مجلة علمية تهذيبية عنوانها « المرأة في الاسلام » وغرضها ظاهر من عنوانها وهو البحث في كل ما من شانه ترقية المرأة المسلمة فنتمنى له التوفيق في خدمته لانها من انفع الخدم في الشرق وندعو لمجلته بالانتشار

❊ مجلة التاريخ ❊ اتمت مجلة التاريخ سنتها الرابعة ودخلت في الخامسة وقد صدر العدد الاول من سنتها هذه وفيه ابواب لحوادث العالم اليومية والاخبار المحلية . ومطبعة مجلة التاريخ مستعدة لطبع كل ما يطلب منها من الاوراق التجارية والمطبوعات باسعار زهيدة وهي واقعة وراء صيدلية حضرات الخواجات خليل خوري واخوانه في الثغر . وقد صدر فيها في هذه الاثناء كتيب لطيف عنوانه « الرفيق المضحك » وهو يحتوي فكاهات ادبية وثمنه غرش صاغ واحد

❊ الروايات الشهرية ❊ صدرت الرواية الثالثة من الروايات الشهرية لصاحبها جناب الاديب يعقوب افندي جمال وعنوانها « فولكلاند » وقيمة كل رواية من الروايات الشهرية نصف فرنك اي ان المشترك فيها يدفع ستة فرنكات في العام فتصله ١٢ رواية منها وهو تسهيل حسن لمحبي الروايات فلا بدع اذا اقبلوا عليها

وقد كان يحرر هذه الروايات قبل الاخيرة منها حضرة الكاتب المجيد خليل افندي جاويش ولكن اعتلال صحته اضطره الى مبارحة مصر تبديلاً للهواء فنحن ندعو للخليل بالسلامة شفاه الله وعافاه

الجمعيات الخيرية يسرنا ان يقع نظرنا على كراس حاوٍ اعمال جمعية من الجمعيات الخيرية اكثر مما يسرنا وقوعه على كتاب صدر حديثاً لان كثرة الجمعيات الخيرية دليل من احسن الادلة على شعور الشرقيين بوجوب التعاون والاتحاد . وامامنا الآن خمسة كراريس من هذا القبيل

جمعية دفن الموتى باسكلة طرابلس — احدها كراس من جمعية دفن الموتى الارثوذكسية باسكلة طرابلس شام وهو يتضمن ميزانيتها للسنة الماضية وقد بلغ مجموع دخل الجمعية في هذه الميزانية ٢٠٧٩٥ غرشاً ومجموع النفقات على دفن الموتى الفقراء ومعالجة المرضى وتسفير الغرباء ١٢٣٧٤ غرشاً . وهي نتيجة حسنة جداً يستحق عليها حضرات اعضاء هذه الجمعية كل شكر وثناء

الاخوية الارثوذكسية في طرابلس — وقد وردتنا ايضاً نسخة من ميزانية هذه الجمعية المتالفة من نخبة من ادباء الفيحاء وافاضلها وكلها شهادة ناطقة بفضل الذين سعوا وفضل الذين احسنوا . وقد بلغ دخلها في سنتيها الاوليين ٥٣٧١٦ غرشاً ونفقاتها على الكنيسة ٢٥٠٧٧ غرشاً والباقي محفوظ في صندوقها . وقد كتبت الينا ادارة الاخوية ان حضرات الوجهاء الاماثل الخواجات سمعان كرم واخوانه في الثغر قد تبرعوا لها بمبلغ ثلاثة آلاف غرش جرياً على عادتهم الحميدة في السخاء والايادي البيضاء

الجمعية الارثوذكسية في يافا — وقد وردتنا ايضاً نسخة من ميزانية الجمعية الخيرية الارثوذكسية في يافا مصدرة بهذه الكلمات البليغة « بهذا قد عرفنا المحبة واما من كان له معيشة العالم ونظر اخاه محتاجاً واغلق احشاءه فكيف تثبت محبة الله فيه » وقد بلغ دخل هذه الجمعية ٦٠٣٤٤ غرشاً ونفقاتها ٢٢٥٤٦ غرشاً

جمعية مار منصور بالمنيا — ووردتنا ميزانية هذه الجمعية المتالفة في المنيا (مصر) برئاسة سيادة الانبا مكسيموس صدفاوي اسقف كرسي المنيا المحترم وقد بلغ دخلها في العام الماضي ٩٠٢٧ غرشاً ونفقاتها ٦٧٥٥ غرشاً

جمعية الاتحاد الادبية باسيوط — واهدتنا جمعية الاتحاد الادبية نسخة من قانونها ولائحة النادي الجديد الذي انشأته في اسيوط خدمة للادباء .

فما مر بك يتضح ان المحسنين في الشرق كثيرون وانه لا ينقصهم غير الايدي العاملة التي تستدر فضلهم على الضعفاء وتنفق المال في وجهه النافع

التساهل الديني

﴿ خطبة في اميركا ﴾ اهدانا حضرة الفاضل امين افندي ريحاني نسخة من الخطبة التي تلاها في جمعية الشبان المارونيين في نيو يورك في ليل ٩ فبراير الماضي وعليها هذه الكلمات « هدية الى مجلة الجامعة من اجل الانتقاد » . وعنوان هذه الخطبة « التساهل الديني » وقد علم قراء العربية موضوعها من كثرة تقريظ الجرائد لها وانتقادهم اياها

اما نحن فلا نكون في جانب المقرظين ولا في جانب المنتقدين بل نكون في الجانبين في وقت واحد . فاننا نستحسن كل الاستحسان ما ورد في الخطبة من الكلام البليغ والبيان الفصيح عن فضيلة التساهل وكونها المبدأ الوحيد الذي يمكن الاقوام المختلفي المذاهب من المعيشة بسلام وحب فوق ارض واحدة . ولكن الاختلاف العظيم انما هو في تعريف هذا التساهل . فاذا كان المقصود به ان يحترم الناس جميع الاديان التي ليس فيها مسٌ لكرامة الانسان ولا نقض للنواميس الطبيعية كاليهودية والاسلامية والمسيحية والبوذية كما شرعها شارعوها لا كما هي الآن فان هذا المبدأ صحيحٌ غضب الناس عليه او رضوا عنه . واما اذا كان المقصود به ما يسمونه عدم الاكتراث بالدين لا التساهل — اذ بين الامرين ما بين الارض والسماء وقد قال الفلاسفة ان الكفر اخف ضررًا من عدم الاكتراث — فاننا نردُّ هذا المبداء ولا نستحسنه لانه يقطع الانسان عن مصدره الاعلى والذات الاعظم الذي اخذ منه ويهدم اساس الفضيلة في هذه الحياة

وليس من التساهل ان يقول حضرة الخطيب ما قاله في الاسطر الاولى من الصفحة ٢٩ فان مبدا التساهل اعظم من ذلك بكثير . وليس من التساهل ايضًا ان يقول في السطر الثاني من الصفحة ٣١ كلامًا كنا نودُّ ان لا يصدر عن قلم او فم عاقل مثله . لاسيما وانه يعلم ان الذين عناهم قد احسنوا الى الانسانية بالشرائع التي وضعوها واخرجوها من ظلمات الهمجية وانهم ابرياء من كل ما حدث باسمهم من الضرر والشر اذ التبعة في ذلك على الذين اتوا بعدهم وغيروا تعاليمهم . وهذا يدلنا على ان تساهل جناب امين افندي ريحاني لا يزال فيه شيء من التعصب . فنحن نرجو ان يخرج في خطبة ثانية هذه الفضول من نفسه ويرقى بها الى التساهل الحقيقي

وان قيل ما هو التساهل الحقيقي اجبنا : هو ان تعمل بهذه القاعدة القديمة : اصنع بالناس ما تريد ان يصنع الناس بك لانك لست افضل من سواك . فمتى عمل الانسان

بها وادرك معناها الحقيقي احترم اديان الناس واعتقادهم ليحترموا دينه واعتقاده وبلغ من معرفة الحقيقة مبلغاً صار يعتقد عنده ان كل طعن في دين الغير طعن في نفس دينه لان الاديان واحدة في الوجهة وهي عبادة الله وان كانت مخالفة الطرق والفروع . ومتى صار الانسان يعتقد هذا الاعتقاد وينظر الى آراء الناس ومعتقداتهم حتى اغلاطهم واوهامهم وخزعبلاتهم نظرة الرفق والشفقة والاعتدال ولو كانت مضرة به ومخالفة لمبدائه — جاز له حينئذٍ ان يسمي نفسه حكيماً متساهلاً

اما قولهم انه لا بد للشرقيين من هذا الانقسام الديني لخلو ايديهم من شيء يجتمعون حوله كالوطن والامة فهو خطأ المحض . اولاً لان كل فريق من الشرقيين امة مستقلة بنفسها وان امتزجت بسواها ولكل واحدة منها امانٍ وآمال . وما الحكم عليها بوجوب بقائها منقسمة انقساماً دينياً واشتغالها بهذا الشيء عن كل شيء الا بمثابة الحكم عليها بالتزام الجهل والتاخر والموت الادبي الى الابد . وثانياً لان الفرنسويين منقسمون في الدين بين كاثوليك وانجيليين واحرار واسرائيليين انقساماً يشبه انقسام الشرقيين تماماً والنزاع بين هذه الاقسام هو على اشده لا سيما في هذه الايام ومع ذلك فلهم وطن معروف وهم امة معروفة . ولاخواننا المسلمين في الشرق وطن ايضاً وذلك لم يمنعهم من الانقسام وتقديم الدين على الوطن . فالتحمس الديني في الشرق اذاً اسباب غير فراغ ايدي الشرقيين من شيء يجتمعون عليه . وهذه الاسباب لا نبحث فيها الآن

تاريخ الاسبوعين

❊ مآثر الجناب الخديوي ❊ فتحت جمعية « العروة الوثقى » في الثغر اكتتاباً لانشاء « مدرسة للصناعة » في الترسانة تذكاراً للمغفور له محمد علي باشا محيي مصر ومنشئ الاسرة الخديوية الكريمة فيها فافتتح الجناب الخديوي المعظم هذا الاكتتاب بار بعمائة جنيه تبرع بها سموه حفظه الله اعانة لهذا العمل المفيد الذي تحتاج البلاد اليه . وقد تبرعت ايضاً صاحبة العصمة والدولة الحرم المصون بمائة جنيه وتبرع سمو الانجال الفخام بمائة اخرى ايضاً فلو اقتدى اغنياء البلاد بسموه وهم مشهورون بالسخاء والفضل منذ القديم فانهم لا يلبثون ان يعمروا عشر مدارس صناعية كبرى في كل مركز كبير من مراكز القطر واحدة

وقد افتتح في مربوط الجامع الجديد الذي انشأه فيها سموه على نفقته الخاصة فحضر صلاة الافتتاح فضيلة شيخ الجامع الازهر وغيره من العلماء · وقد تلا حضرة الاستاذ الشيخ سليمان العبد الابيات التالية بين يدي سموه على المائدة بعد الصلاة وهي

صفا الزمان وحسن الحظ اسعده ... وانجز الدهر بالاقبال موعده
لله مربوط ما احلى مشاربها ... واعذب اليوم صافيها ومورده
سقى رباها خديوي مصر غيث ندى ... فاصبحت روضةً واستمطرت يده
بنى بها مسجداً لله اخلصه ... فحق مربوط ان تثني وتحمده
وحق مصر بان تزهو مؤرخةً ... أنشى الخديو بعون الله مسجده

فسر سموه بها وامر بنقشها على بلاطة في صدر الجامع

والمأثرة الثالثة ان محافظ المدينة المنورة وشيخ الحرم النبوي وجها انظار سموه الى جر المياه من العين الزرقاء الى التكية التابعة لديوان الاوقاف في المدينة المنورة وجرها ايضاً من سيدنا زكي الى سيدنا حمزه على طريق امكنة المكرمة فاصدر سموه الامر الى ديوان الاوقاف بفحص هذا المشروع الجديد ونقدر نفقاته بستة عشر الف جنيه · ولا يخفى ان فوائده غير محصورة في الحجاج المصريين بل تشمل جميع الحجاج · اطال الله بقاء سموه وحفظه ملجأ للرعية

الفيلسوف تولستوي لو اردنا ان نلخص كل ما نشرته جرائد اوروبا عن الفيلسوف تولستوي منذ قطعه عن الكنيسة الروسية لاستغرق ذلك صفحات هذا الجزء بتمامها · وامامنا الآن ثلاثة فصول هامة في هذا الموضوع · الاول الكتاب الذي كتبه تولستوي الى جلالة القيصر ورجال دولته يحضهم فيه على الاصلاح بكلام كالسهام :والثاني الكتاب الطويل العريض الذي كتبه الفيلسوف الى المجمع المقدس يردُّ فيه على الحكم بحرمانه · ولم تجسر واحدة من الجرائد العربيه بعدُ على ترجمة هذا الكتاب بتمامه لانه يحتوي طعناً شديداً على تعاليم الكنيسة الروسية وانما نشر بعضها خاتمته وفيها يقول انه مسيحي حقيقي · والثالث جواب المجمع المقدس عن كتاب الكونتس تولستوي الذي نشرناه في الجزء الماضي · وقد نشرت هذا الجواب رصيفتنا المنار البيروتية · والظاهر ان وزير المعارف الروسية الجديد قد سكن افكار الطلبة الروس بسياسته الحكيمة المعتدلة فهمدوا وقد اصدر جلالة القيصر المشهور بالرأفة والحلم امراً بوجوب اصلاح التعليم في الكليات فكان ذلك فوزاً للطلبة

خاتمة السنة الثانية

نختتم في هذا الجزء السنة الثانية للجامعة بحمد الله تعالى على ما اسبغ من نعمه و بالشكر لحضرات الوكلاء والمشتركين والقراء الكرام الذين بلغت الجامعة بهمتهم ومساعدتهم في عامين ما لم يبلغه غيرها في اعوام . والحق يقال اننا لما اقدمنا على انشائها لم نتوقع لها ما تم لها لعلمنا بعجزنا وقلة بضاعتنا ولكن فضل الاصدقاء والمعارف والادباء وافاضل الشرقيين الذين عرفوا ان الجامعة تسد فراغاً في الصحافة الشرقية العربية اكمل ذلك النقص . وقد مرَّ الآن دور الطفولية على الجامعة وستظهر في سنتها الثالثه بمظهر الشباب ان شاء الله فتكون في عامها الآتي اكثر اتقاناً وضبطاً كما يدل على ذلك هذا الجزء

غير انه بالنظر الى تاخر صدور الاجزاء في آخر هذا العام للاسباب التي ذكرناها في حينه ولانتقال الجامعة من ادارتها في الميناء جعلنا اول سنة الجامعة اول شهر اغسطس القادم (آب) استرداداً لما فات من الوقت . وبناء عليه فالجامعة تصدر منذ الآن فصاعداً في اول كل شهر بالضبط التام ابتداء من شهر اغسطس الآتي وسندخل فيها في السنة القادمة تحسينات مهمة جداً

. . . .

هذا . ويسوءُنا الآن ان نطلع القراء على امر خصوصي . وهو اننا لما اقدمنا على انشاء هذه المجلة رغب الينا جناب ابن شقيقتنا الشاب الاديب مخائيل افندي كرم في ان يساعدنا فيها كرماً منه ومن حضرة والده فتولى ادارتها في هذين العامين . ولكن حضرته اضطر الآن من سوء الحظ الى ترك ادارة الجامعة والانسحاب منها للاهتمام باشغاله التجارية والسفر مع حضرة والدته الى لبنان تبديلاً للهواء فودعناه شاكرين له سعيه وهمته وان آلمنا فراقه كما آلمه فراقنا . ولا ريب عندنا ان الجامعة وقراءها لا ينسون ما له من الفضل عليها

وبناء على ذلك فاننا نرجو من جميع المراسلين والوكلاء ان يبعثوا منذ الآن فصاعداً جميع رسائلهم رأساً باسم « منشىء الجامعة » ولهم الفضل

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

فقيد الشرق العظيم

﴿ بشاره باشا تقلا ﴾

صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد

مات تقلا باشا . مات الرجل الذي علَّم الناس كيف يجب ان تكون الرجال . مات المقدام الذي وُلد صغيرًا في قرية صغيرة ثم بلغ به اقدامه وذكاؤه الى اقصى ما يمكن للشرقي بلوغه في بلاده : فشهرة طائرة طبقت الشرق والغرب . وثروة طائلة لم يجمعها احد من الصحافة قبله ولا يجمعها احد بعده . وجاه طويل عريض ساق اليه من كل جانب رتب الدول ووساماتها . ومركز ادبي سام يشرف منه على ملايين الامم في الشرق والغرب ويخاطبهم بقلمه واقلام كتابه . فوق ذلك بنية قوية ثبتت في وجه عواصف الحياة حتى بلغت ذراها . ووجه صبوح باش كما تراه في رسمه يجذب القلوب اليه ولو كانت متألمة منه . وامرأة فاضلة قلما نبغ في الشرق نساء في منزلتها من الفضل والذكاء ومعرفة واجبات الزوجة والام والسيدة

فماذا كان ينقص رجلاً تمت له هذه الصفات كلها لكي يعيش سعيدًا ويكمل العمل العظيم الذي بين يديه . حتى اذا بلغ ابنه الوحيد اشده القاه اليه ثم مات باطمئنان وسلام

كان ينقصه ان يكون البشر اقل رداءة وخبثًا مما هم عليه وان يكون هو اقل تأثرًا لاعتدائهم وحسدهم . ولكن قُدِّر ذلك الامر فكان . ومات تقلا باشا في اطراف الكهولة قبل استيفاء ايامه كلها فمات بموته اعظم صحافي في الشرق منذ انشاء الصحافة فيه الى هذه الايام

ولما كان لهذا الفقيد العظيم على الجامعة وعلى منشئها فضل كبير فقد وجب علينا ان نذكر جملةً من سيرته واخلاقه واعماله مرجئين التفصيل الى حين تجتمع لدينا المواد اللازمة لذلك فنقول

❊ ترجمته ❊ ولد الفقيد رحمه الله في ٢٢ اغسطس من عام ١٨٥٢ في قرية كفرشيما من اعمال لبنان وهي القرية المشهورة بما نبغ منها من رجال الادب والفضل حتى لقد سماها بعضهم « ذات الماء الفضية » ثم قدم الى مصر في عام ١٨٧٦ مع شقيقه المرحوم سليم بك تقلا فانشئا فيها جريدة الاهرام · وكان عمر الفقيد يومئذٍ ٢٤ عاماً · ولا نسهب في ذكر المصاعب التي قامت في سبيلها لاول مرة والهمة التي قاوماها بها انما نكتفي بذكر كلمة للفقيد قالها قبل وفاته بخمسة اشهر في ادارة جريدته صدى الاهرام في الثغر · فان بعض اخصائه كتب اليه كتاباً شديد اللهجة يستعجله بشأن مطلب من المطالب فتأثر من ذلك الكتاب ولما اجتمع به قال له ما حرفيته « لا يرتقي الانسان هكذا! ولو كنت بحدتك وسرعتك لما قدرت ان اعمل شيئاً بل كنت اليوم حيث كنت امس بلا زيادة ولا نقصان »

فهذا الكلام يجوز ان يُتخذ كتاريخ لكل حياة الفقيد من اولها الى آخرها · فانه يدل دلالة صريحة على ان صاحبه كان راسماً لنفسه خطة يجري عليها بالتدقيق دون ان يدع للحدة او الاهمال او حوادث الزمان سبيلاً للتاثير فيها · اي انه منذ صباه رسم نصب عينيه نقطة في قمة جبل العلى ثم اخذ يسير نحو هذه النقطة بجدٍ وعناء دون ان يصرفه عنها شيء من المصاعب والعواطف والتصورات فبلغها وجلس مسروراً يستريح عليها

❊ اخلاقه وصفاته ❊ وقد ذكرنا في مقدمة الكلام اننا لا نفصل ترجمة الفقيد في هذا الفصل وانما نلم بها الماماً فقط ولذلك ننتقل بعد هذه الملاحظة الى صفات الفقيد واخلاقه لما لها من العلاقة بها · و يسوءنا ان نقول ان خصوم الفقيد كانوا غير قليلين في حياته وان كانوا من طيب الجبلة الانسانية قد انقلبوا الى الحزن والاسف عليه في مماته · وسبب ذلك مختلف فيه · فبعضهم يقول انهم لم يكونوا يحبونه من الحسد له وكم تثير المراكز العليا من حسد الناس سواء كانوا قريبين منها او بعيدين عنها · و بعضهم يقول بل لانه نصر الدولة العثمانية وايدها حتى في ابان الحوادث الارمنية والحرب اليونانية · و بعضهم يقول انه ما كان يداري احداً بل كان عنده الكبير والصغير على حدٍ سواء

غير ان الحقيقة ليست في شيء من كل ذلك · فقد ذكرنا ان الفقيد تسلق بجده وكده قمة المركز الذي بلغه دون مساعدة احد الا بيتاً كريماً اعانه يوم نكبة الاهرام بحريقة حدثت فيها وقد حفظ الفقيد هذا الجميل الى آخر حياته · وهذا الارتقاء البطيء الطويل المدى يستلزم ان يكون صاحبه قد عاشر الناس واختبر اخلاقهم ورأى معاكساتهم ومشاكساتهم



﴿ المرحوم بشاره باشا نقلا ﴾

وما هم فيه من الدناءة حيناً والعدوان وحب الشر احياناً · فترك هذا الاختبار في نفسه اثرًا شديدًا حتى اذا ارتقى عن الناس واستغنى عنهم جاس يضحك منهم ويلاطفهم متى تقربوا منه وهو يقول في نفسه انهم غير اهل للمجاملة · فهذه الحالة انشأت في نفسه ثلاثة مبادىء (اولها) استغناؤه عن الناس واعتبارهم آلات في يده (وثانيها) عدم الاهتمام بمن كان منهم لا ينفع وعدم مداخلة عواطف القلب في مصلحة عمله (وثالثها) وجوب ان يتعب العامل و يشقى كما تعب وشقي هو ليستحق اجرته وليس من العدل ان يُعطى فوق تعبه ولا نقول ان هذه المبادئ مبادئ يحبها الناس ولكننا نقول انها مبادىء عملية مادية

وبها تُبنى المراكز العليا في هذه الحياة . وهي مبنية على قاعدة الضبط والتدقيق في العلائق بين العمل والاجرة ونبذ الضعف والمحاباة من طريق المصلحة ودوس كل صعوبة من اجلها . وكأنّ الفقيد قد شعر رحمه الله ان عصره يستلزم ذلك وان هذه المبادئ ستكون مبادئ العصر القادم بدليل « سياسة المصلحة » التي افتتحتها المانيا وانكلترا في السنوات الخمس الاخيرة — فجعلها محورًا لادارته . و بناء عليه فانه يجوز ان يُعدّ الفقيد متقدماً في هذا الامر ابناء العصر الآتي

هذا هو رأينا في التعليل الصحيح لميل بعض الناس عن الفقيد واذا سموا هذا الامر اثرةً واستقلالاً مضرًا فالذنب الكبير واقع على الهيئة التي خرج منها والناس الذين خبروهم قبل ارتقائه فجعلوه يتأثر تأثرًا سيئًا منهم بمعاكسته ومقاومته بدلاً من مساعدته . وفضلاً عن ذلك فان بسمارك والكونت بيلو مستشار المانيا والامبراطور غليوم والمستر تشمبرلن واللورد ملنر والمستر سسل رودس حتى اللورد سالسبوري نفسه كلهم يسمون هذه السياسة « سياسة المصلحة الواجب اتباعها على من يروم النجاح » و يسوّغنا ان نقول ان هذه السياسة ستجعل المعيشة في القرن العشرين صراعاً هائلاً بين البشر كما تنبأ اللورد روزبري

﴿ منزلته ﴾ اما منزلة الفقيد فقد كانت من السمو في الشرق والغرب بحيث يعلم القراء . فانه تشرف بمقابلة جلالة السلطان عبد الحميد خان الثاني غير مرة فاجمل جلالته ملاطفته . وقد اجترأ الفقيد في احدى مقابلاته لجلالته فقال له وكانت المسالة المصرية يومئذٍ في اشد حالاتها « مولاي ان افريقيا ستصبح ميدانًا واسعاً للاستعمار ولجلالتكم فيها ملايين عديدة من اخواننا المسلمين المطيعين لجلالة خليفتهم فهلا صرفتم شيئًا من عنايتكم الى استمالة افريقيا قبل اقتسام اوربا لها بدلاً من صرفها كلها في تركيا او روبا » وقد اخذنا هذا الحديث من فم سعادته . وذكره سعادته يوماً ما في احدى مقالاته وزاد عليه انه قاله لجلالة السلطان امام صاحب السماحة السيد ابو الهدى افندي

وكان الفقيد عالي المنزلة لدى الجناب الخديوي العالي وقلما يمر عام ولا يتشرف بتناول الطعام على مائدة سموه بضع مرات بدعوة خصوصية

وكانت جريدة الدیلي ميل والتمس تستغربان بعد وفاة المرحوم الخديوي توفيق الاول الاخبار السرية السياسية التي كانت تنشرها جريدة الاهرام دون سواها وتتساءلان هل ان صاحب هذه الجريدة وزير انكلترا ام وزير مصر . ومن الامور العظيمة التي اقدم الفقيد عليها تنديده في الاهرام بالخديوي اسماعيل باشا يوم مدّ يده الى الخزانة المصرية . فكان

ذلك منه منتهى الاقدام وكبر النفس لانه لم يكن احد يجسر في ذلك الزمان ان يقابل اسماعيل باشا ببسمة فضلاً عن طعنة · فاستدعاه اسماعيل باشا واساء اليه وسجنه ولكن هذه الاساءة زادته رفعة في نظر الناس لدفاعه عن حقوقهم · ومنذ ذلك الحين لجأ الفقيد الى الحماية الفرنسوية تخلصاً من مثل ذلك

وكان فصيح المنطق حلو الحديث واسع الاطلاع طلق اللسان كأن لسانه مركب فوق لولب فكان اذا جلس في مجلس تصدر فيه وصار منه كالمركز من الدائرة · وله صلات ومعرفة في اكثر بلاد اوربا لا سيما فرنسا التي كان كثيرون من رجال حكومتها واعاظم كتابها ومديري الصحف فيها من معارفه وكان بينه وبين بعضهم مكاتبات · وقد ذكر لنا مرة انه ورده من حضرة العالم المشهور سليم افندي دي نوفل الطرابلسي صاحب المكانة العليا في روسيا ملاحظة على مقالة نُشرت في الاهرام بتوقيع « سلامه » ··· وذكر لنا الملاحظة · فسألنا سعادته وهل ان المسيو دي نوفل صديقكم فقال انه اخص اصدقائي من ابناء الشرق · وبعد شهر سمعنا من احد اقارب المسيو دي نوفل انه يقول ان نقلا باشا هو اخص اصدقائه لانه الرجل الوحيد الذي عرف كيف يستفيد من الحوادث الشرقية واستخدم فيها مواهبه

﴿ وساماته ﴾ اما وسامات الفقيد ورتبه فقد نال منها من الدولة العلية رتبة روملي بكلربكي وهي اعلى رتبة ملكية وليس فوقها غير رتبة الوزراء · ومن وساماتها وسام المجيدي الاول وهو اسمى الوسامات دون المرصعات · ونال ايضاً وسام جوقة الشرف (اللوجيون دونور الفرنسوي) ووسام الافتخار التونسي من عظمة باي تونس ووسام سان ستنسلاس من روسيا · ونال ايضاً وسامات غيرها من دول كثيرة

﴿ جرائده ومحرروها ﴾ وكان للفقيد اربع جرائد تطبع وتوزع وهذا مما لم يسبق له مثيل في الشرق · الاولى جريدة الاهرام وهي يومية · والثانيـة جريدة صدى الاهرام انشأها في الاسكندرية لما نقل الاهرام الى العاصمة وكانت يومية ايضاً · والثالثـة جريدة البيراميد الفرنسوية وهي يومية ايضاً وقد فاقت جرائد القطر الافرنجية كلهـا في عام واحد · والرابعة مجلة اسبوعية تصويرية ادبية فرنسوية اسمها « العائلة المصرية » توزع مجاناً على المشتركين في البيراميد · هذا ما عدا المطبعة الواسعة في القاهرة التي لا تقف آلاتها العديدة عن العمل ليلاً ونهاراً · واكبر آلاتها تُدار بالبخار

اما المحررون الذين اشتركوا في تحرير الاهرام في المدة الماضية فهذه اسماؤهم واذا كنا

قد نسينا احدًا منهم فنرجو المعذرة وهم

عزتلو رشيد بك شميل صاحب البصير اليوم وكان مديرًا لادارة الاهرام · واخوه المرحوم سبع شميل وخليل افندي مطران صاحب المجلة المصرية اليوم وخليل افندي زينيه وخليل افندي الجاويش واخوه نجيب افندي الجاويش وخليل افندي زيدان ونجيب افندي طراد والمرحوم نجيب افندي الحداد صاحب جريدة لسان العرب واخوه امين افندي الحداد وداود افندي بركات ويوسف افندي بستاني وطانيوس افندي عبده والمرحوم قيصر افندي زينيه ومحمد افندي توفيق فرغلي ونقولا افندي رزق الله

هؤلاء هم المحررون الذين بنيت الاهرام على اكتافهم واما الوكلاء والمخبرون والمراسلون والعال فانهم جيش كثيف يستغرق عدهم صفحات عديدة · وانما يجب علينا ان نخص منهم الذين امتازوا بخدمة هذه الجريدة وهم امين افندي بدران مدير طبعها ومطبعتها وسليم افندي الحداد وكيلها في العاصمة وقسطاكي افندي توتونجي وكيلها في الاسكندرية وفيليب افندي زينيه وكيل ادارتها ورئيس حساباتها سابقاً وابرهيم بك زكا وكيلها في الولايات العثمانية ورشيد افندي سعاده وكيلها في الغربيـة · وفضلاً عن ذلك فان رسائل حضرة الفاضل ابرهيم افندي مظهر مراسلها الدمنهوري المتبرع بمراسلتها لما بينه وبين الفقيد من الصداقة كانت خدمة جليلة لها

﴿ وفاته وجنازته ﴾ ولكن كل هؤلاء الاصدقاء · كل تلك المنزلة السامية · كل تلك الثروة الطائلة لم تدفع المحذور · ولم ترد المقدور · ولم تمحُ ما هو مسطور · فقد اصيب الفقيد منذ بضعة اسابيع بمرض اختلف الاطباء فيه فمن قائل انه حمى معوية ومن قائل انه حمى تيفوئيدية ومن قائل انه احتقان في الدماغ · وقد رجح بعضهم هذا الاخير وزادوا عليه الشلل · وفي يوم الجمعة ١٤ يونيو اي بعد انقضاء ٢٠ يوماً على مرضه انتبه من غيبوبته فسأل الطبيب عن حالته فقال له الطبيب قولاً مسكنًا ولكن الفقيد كان كأنه شعر بدنو اجله فاستدعى اهله وولده الوحيد فودعهم واوصى ابنه بطلب العلم والادب وسلوك سبيل الاجتهاد · وما فرغ من ذلك حتى اصيب بنوبة شديدة افقدته النطق فجعل ينظر الى من كان حوله ويودعهم بعينيه الى ان انتصف الليل فدخل في الاحتضار · وفي الساعة الثانية والدقيقة ٣٥ لفظ روحه الكريمة رحمة الله عليه

ولما انتشر نعيه قامت له مصر وقعدت وبعث الجناب الخديوي المعظم رسالة يعزي بها اسرته الكريمة وعهد الى حضرة علي بك كامل التشريفاتي ان يسير في جنازة الفقيد من قبل

سموه وتقاطرت رسائل المعزين ومركباتهم من كل فج وصوب على المنزل الجميل الذي شاده الفقيد منذ عامين في العاصمة. وفي مساء ١٥ منه احتفل بتشييع جنازته احتفالاً عظيماً مشى فيه الباشوات ووكلاء الدول والموظفون وكبار الوطنيين والاجانب وجميع الادباء والفضلاء واصحاب الجرائد العربية والافرنجية ومحرروها وقدمت اكاليل الزهر الى نعش الفقيد عشرات عشرات. وبعد الصلاة في كنيسة الروم الكاثوليك على جثته الهامدة — تلك الجثة التي كانت تحمل حركة مستمرة وعزماً يدك الجبال نُقلت الى مدافن مصر العتيقة فابن الفقيد هنالك حضرة الكاتب المجيد يوسف افندي بستاني احد محرري الاهرام بالنيابة عن زملائه المحررين والمسيو بول منس رئيس تحرير جريدة البيراميد وعزتلو نقولا بك توما المحامي المشهور فكان لكلامهم وقع اليم في النفوس. ثم غُيب النعش في ظلمة القبر فغابت معه شمس ونزل معه بحر عجاج كان من قبل متلاطم الامواج

❊ مصير البيرأميد والاهرام ❊ والآن قد انتهى الامر وحدث ذلك الفراغ العظيم في عمل كبير من اعمال الصحافة العربية الشرقية. فهل يدوم هذا الفراغ او يمن الله بسده رفقاً باسرة كريمة نزلت بها مصيبة ما بعدها مصيبة ؟

انه لما توفي المرحوم سليم بك نقلا مؤسس جريدة الاهرام استعظم الناس المصاب ولكنهم عادوا فاستصغروه لان الاهرام سارت بعده بادارة المرحوم بشاره باشا كما كانت قبله. والآن سيكون ذلك كذلك ان شاء الله. فانه كما ان تيرس توفي عن زوجة فاضلة كانت قدوة للنساء في حلولها محل رجلها بعد وفاته في تربية اولادها وادارة طبع مؤلفات زوجها فكذلك ستكون تلك السيدة الفاضلة القادرة التي كسر الحزن قلبها على فقيدها. وان عمر وحيدها «جبرييل بك» الذي لا يدور ذكره في الفم حتى يجول الدمع في العين يبلغ الآن ١٢ عاماً فليمدها الله بمعونته لتحفظ له هذا المركز الكبير ولتجعل الناس يرون فيه بعد ثمانية او عشرة اعوام صورة ابيه فيقولون حينئذ «ان هذا الشبل من ذاك الاسد»

وليس يعلم احد كم كان ذلك الاسد يحب هذا الشبل غير الذين شهدوه يقرأ كتاباً منه. ولقد شهدنا ذلك مرة فشهدنا عندها ناراً تتقد في عيني الاب الحنون على ولده. وكان ذلك الكتاب فرنسوي العبارة وهو وارد من باريز حيث بقي «جبرييل» هناك مع حضرة والدته في صيف تلك السنة وعاد الباشا الى ادارته في الاسكندرية. وبعد ان اتم الباشا الكتاب قال خذ واقرأه فتعرف منه نباهة «جبرييل» وماذا يكون في المستقبل واكد انه من انشائه وخطه وانما والدته اصلحت بعض اغلاط فيه ولا يزال موضع الاصلاح

ظاهراً . فتناولنا ذلك الكتاب ودهشنا لما قرانا اسلوبه الرقيق الصحيح الفصيح لان عمر جبرييل كان يومئذ لا يتجاوز السنة التاسعة ورأينا ان قلم الاصلاح لم يجرِ فيه الا في اربعة او ٥ مواضع

هذا هو الصبي الذي سيدير ثروة ابيه وجرائده ويحتل ان شاء الله محله . وقد كان كتّاب الادارة حين زيارته لهم ينادونه « نوتر ديركتور نوتر ديركتور » اي مديرنا مديرنا . يقصدون بذلك ممازحته . اما الآن فقد صار هذا الامر وا اسفاه جداً لا مزاحاً

هذا ما اردنا الاقتصار عليه الآن وقبل ختام الكلام نسأل الله مبرد القلوب وواهب السلوان ان يعزي حضرة والدة الفقيد وقرينته الكريمتين وشقيقيه الفاضلين عزتلو حبيب بك وابرهيم بك وجميع اقربائه واصدقائه ورصفاءنا محرري جرائده عن هذا المصاب الاليم والرزء العظيم ونرجو ان يخفف من حزنهم ما شاهدوه من اجماع الناس على مشاركتهم فيه واعتباره حزناً عمومياً . وان يتغمد الفقيد بواسع رحمته وغفرانه ويحسن اليه في مماته بقدر ما احسن في حياته انه السميع المجيب .

المرحوم سبع شميل

كل يوم يختطف داء الصدر اديباً من الادباء . وقد فجعنا هذه المرة بالشاب المتوقد ذكاء الكاتب الفاضل المرحوم سبع شميل مدير جريدة البصير قبلاً وشقيق صاحبها جناب عزتلو رشيد بك شميل وابن اخي الدكتور شبلي افندي شميل . وقد توفاه الله في قرية كفرشيما حيث ذهب في طلب الشفاء من داء متى استعصى فلا ينجع به دواء . فانطفأ هنالك بعيداً عن مركز عمله بالتدريج انطفاء سراج نفد زيته وحان اجله

وقد كان الفقيد رحمه الله من خيرة شبان الشرق همة وذكاء . فانه رحل قبل قدومه الى مصر نحو بلاد الانكليز وتعاطى التجارة فيها فاثرى ثراء دلَّ على عظيم همته وشدة براعته في عمله . ولكن دولاب الدهر لم يلبث ان دار فاضاع هناك في البورصة الوف الجنيهات التي كان قد ربحها منها . فعاد الى مصر يطلب الرزق من شق هذه القصبة . وكان ابرع محرري زمانه في تحرير الشؤون التجارية فاستدعته جريدة الاهرام لانشاء هذا القسم فيها . ثم انشأ جناب شقيقه جريدة البصير فعهد اليه ادارتها وتحريرها فاكب الفقيد على ذلك حتى جاءه الداء متدرجاً فاخمد همته وكسر قلمه . فقصد العاصمة مستشفياً ثم قدم منها وسافر الى كفرشيما طالباً للعافية فكانت القاضية . فنحن في هذا المقام نبعث بالتحية الى صديقنا سبع حيثما كان ونسال الله الرحمة لنفسه والعزاء لآله الكرام